عصمة الأنبياء

كما يصورها الكتاب المقدس

وموقف القرآن الكريم منها

بقلم

د. بكر زكي عوض

تعريف بالبحث

يتخذ الصراع الفكرى صورا شتى أشدها وأصلبها وأبقاها الصراع العقدى لأنه يمثل الصراع بين الحق والباطل عبر التاريخ. وأهل كل معتقد يؤمنون بصواب ما لديهم وخطأ ما لدى الغير كلا أو بعضا، فيبذلون الجهود لإقامة الدليل على صحة مالديهم للدعوة إليه ويحاولون إبطال مالدى الغير والتشكيك فيه. وتتجه الجهود بدءا إلى الكتاب المقدس عند أهل كل معتقد لنقده من اتجاهين: سنده ومتنه وهذا البحث يصور جانبا من جوانب اتجاهات نقد المتن شرعا وعقلا لأنه يصور كبائر الأنبياء التى وردت بالكتاب المقدس وقد صدر البحث بحرمة تلك الكبائر فى نصوصهم والعقوبات المقدرة عليها وكيف عدل بعض الأنبياء عند الالتزام إلى الردة وشرب الخمر والزنا والقتل بغير حق وكفر الأنبياء ببعضهم ... الخ ويرد دعوى كون القرآن قد نسب إلى الأنبياء بعض الكبائر كما ذكر ذلك مؤلفوا كتاب (الهداية) فى الرد على كتاب إظهار الحق، والله الهادى إلى سواء السبيل.

فإن الصراع العقدى — أشد أنواع الصراع الفكرى — لا يقل شأنا عن الصراع العضلى . ونتائجه أشد أثرا من نتائج الصراع المسلح فى بعض الأحيان . فكم نصرت بلدان وأكرهت على ترك العقائد بالكلية أخرى — وإن بقيت رسوم تدل عليها — وتحللت ثالثه من الالتزام ، ومن أجل ذلك تبذل الجهود فى دأب والأفكار فى غير كلل ، لاتخاذ سبل عدة تؤدى إلى تحقيق الغرض المنشود والأمل المرجو لهزيمة الخصم فى هذا الميدان .

وللمسلمين حظهم من هذا الصراع نظرا لأن العقائد الأخرى إما أن تغاير الإسلام بالكلية أو بعض مبادئه وتعاليمه سواء اتصلت تلك العقائد بالوحى أم كانت نتاج الوضع .

وقد ذكر القرآن بعض العقائد الأخرى وكشف زيف المعتقد ونعى على متبعيها التقليد الأعمى أو موروثات الآباء أو العصبية والجهل أو ذلك كله ، ثم ناقش أتباع تلك المعتقدات مناقشة عقلية هادئة لا يستطيع العقل — إن سلم من المؤثرات الخارجية — إلا بأن يقر بالنتائج التى تهدف إليها تلك المقدمات ، مع رسمه منهج الحوار لأتباعه (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ... »[1] .

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون »[2] .

---

(١) سورة النحل . جزء آية ١٢٥

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٦

مع نهيه المسلمين أن يستخدموا أى عبارة تؤدى إلى ردفعل غير محمود ووجوب التخلق بالخلق الحسن « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون »[1] .

ومن أشد صور الصراع العقدى النائم منذ ظهور الإسلام هو الصراع بين أهل الكتاب والمسلمين ، وليس مرد الصراع إلا نتاج العدول عن الحق من قبل اليهود والنصارى وبقاء الإسلام محفوظا بحفظ منزله ، ولولا تصرف أتباع موسى وعيسى — عليهما السلام — كما يزعمون — فيما ورثوا عن أنبيائهم ما وقعت معارضة وما كان للخلاف مجال أدى إلى التباين فى المعتقد ، اذ أن القرآن قد صرح بقول الحق « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »[2] وقوله فى حق أهل الكتاب « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة »[3] .

وفى السنة المطهرة « مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فيها فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[4] .

---

(١) الأنعام آية ١٠٨ (٢) سورة الشورى آية ١٣

(٣) سورة البينة آية ٤ ، ٥

(٤) صحيح البخارى باب المناقب ، باب خاتم النبيين وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب ذكر كون النبى ﷺ خاتم النبيين وسنن الترمذى ٢٤٦/٥

وفى الحديث «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[١].

وقد نتج عن التصرف فى النص الموحى به إلى أنبياء بنى إسرائيل تغاير فى بعض جوانب العقيدة والشريعة والأخلاق. ورغم ذلك فأهل كل معتقد يدعون السلامة من التحريف ويبذلون كل جهد فى إقامة الدليل على تحريف ما لدى الغير من مصادر وأصول تشريعية، وهو أمر يترتب عليه لا محالة — تحريف فى التشريع نفسه — ومن هنا كان الاتجاه من قبل أهل الكتاب إلى القرآن والسنة وشخص الرسول — ﷺ — بالنقد أو الانتقاص بغية إقامة الدليل على التحريف أو التأثر أورد الفعل على أثر ضيق الصدر من قبل الرسول بعقائد أهل الكتاب والوثنيين أو انعدام النسبة «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»[٢].

واتجه المسلمون أيضا إلى الأصل الأصيل للتشريع عند أهل الكتاب «الكتاب المقدس» لا على أنه كلام الله الذى سلم من التحريف، لأن القرآن قد ألزم المسلمين الاعتقاد بوقوع تحريف فى هذا الكتاب، وإن كان بعض العامة بهذا الكتاب من المسلمين لا يتذكرون ذلك فيعقدون المقارنة بين النص القرآنى ونص التوراة ثم يدعون خيرية ما ورد فى النص القرآنى المنزل على محمد على النص التورانى المنزل على موسى والتشريع الإسلامى على غيره من شرع موسى وعيسى — بل لإبطال كونه كلام الله الذى سلم من التحريف.

---

(١) البخارى كتاب الأنبياء ٤٨ ومسند أحمد ٢/٤٠٦ ومسلم كتاب الفضائل ١٤٥

(٢) سورة الصف آية ٨

ومن يقف على الآيات القرآنية التى تناولت قضية تحريف الكتب السابقه بالذكر[١] يدرك أنها قد أشارت إلى وقوعه من طريقين:

الطريق الأول: طريق السند.

الطريق الثانى: طريق المتن.

وقد فصل قدامى المسلمين القول فى اتجاه نقد السند. أما اتجاه نقد المتن فرغم الكتابات الكثيرة التى تناولته إلا أن مجال البحث فيه مازال بكرا، لأن ميادين عدة يمكن التوجه إليها بالنقد مثل الجانب التاريخى — جانب القضايا العلمية التجريبيه — الكونيات — النصوص المصادمة للعقل ... إلخ.

ويراعى على اتجاه نقد المتن سابقا أنه كان يقف عند حد الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم فى كثير من القضايا مع أن ما ورد بباقى الأسفار مما هو وثيق الصلة بذات الموضوع أسوأ حالا مما ورد بالأسفار الأولى، ولذلك رأيت لزاما على وأنا بصدد تناول الكتاب المقدس بدراسة نقدية موضوعية فى بعض القضايا أن أتناول قضية من القضايا الأساسية التى يمكن على أساسها رد كل ما ورد بالكتاب المقدس الذى يدعى أهل الكتاب سلامته من التحريف ألا وهى قضية «عصمة الأنبياء من الكبائر بعد النبوة» ثم أبين موقف القرآن من ذلك باعتباره المعيار الذى توزن به الأمور الواردة عند أهل الكتاب «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه»[٢] وفى

---

(١) اقرأ البقرة ٧٥، ٧٨، ٧٩، ١٤٦، آل عمران ٧١، ١٧٨ والنساء ٤٦ والمائدة ١٣، ٤١

(٢) سورة المائدة آية ٤٨

الحديث «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا اتباعي»[1].

وليس إيراد ما نسب إلى الأنبياء نتاج الاعتقاد بصحة النسوب إليهم في الكتاب المقدس — من السلبيات — بل هو نتاج التدرج مع الخصم بغية الإلزام، خاصة أن قضية النبوة والأنبياء في القرآن الكريم من الأمور التي يركز عليها أهل الكتاب في نقدهم للقرآن من حيث إنه وصف الأنبياء بما لا يجوز، فأردت أن أعرض على كل عقل سلم من الهوى هذا الأمر من وجهة الكتاب المقدس ثم آتي بنور النص القرآني ليمحو ظلمة الجهالة. ومن مميزات هذه الدراسة ما يلي:

١ — اعتمادها المباشر على الكتاب المقدس «طبعة العيد المئوي ١٩٨٣م» دون النقل عن الغير مع الانتفاع بما كتبوه — أحيانا —.

٢ — الاستقصاء، فجميع علماء المسلمين الذين تناولوا الأنبياء في الكتاب المقدس اكتفوا بالحديث عن معصية كل من: آدم — نوح — لوط — يعقوب — هارون أحيانا — يهوذا مع أنه ليس بنبي عندهم ولا عندنا — داود — سليمان — وإن كان ما نسب إلى بعضهم لا يعدوا شيئا ما من جملة ما ورد في الكتاب المقدس دون أن يتناولوا ما ورد في حق الأنبياء الآخرين الذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس، إما من باب الاكتفاء بمن ورد اسمهم في القرآن، وهي علة مردودة لأن بعض من ورد اسمه في القرآن من غير هؤلاء «أيوب — يونس — عيسى — ...» نسب إليه مثل هؤلاء وأكثر، وإما لاكتفاء بأن ينقل اللاحق عن السابق — وهو الراجح عندي — وقد شملت هذه الدراسة الكتاب المقدس بأسره مما يتحقق معها الغنى عن العود إليه في ذات الموضوع[2].

(١) مسند أحمد جـ٤ رقم ٣٨٧

(٢) اعتمدت على الأسفار المسلم بها والطبعة المتداولة وإن كان هناك =

٣ — عدم الخلط والخبط في الوصف أو النقل مع مراعاة أن الكتاب المقدس يستخدم الكناية في كثير من المواطن وإن فات ذلك على كثيرين ممن كتبوا في هذا الموضوع، لأنهم كانوا يأخذون بالظاهر، مع أنني لم أذكر من نسب إليه معصية من المعاصي — مهما عظمت — ما دام في غير عداد الأنبياء عندهم.

٤ — سلمت جدلا بنبوة من نسبت إليه النبوة عندهم — مع ذكر الدليل على ذلك — ثم ارتكب الكبائر لأنه وثيق الصلة بالبحث مع إيماني بالتفويض في نبوة كل اسم ورد ذكره في الكتاب المقدس ولم يصرح به القرآن عملا بالنص (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ...)[1].

٥ — لم أجد من القدامى والمحدثين من صرح — في إطار نقد الكتاب المقدس — بأن المسيح كان يشرب الخمر ويسقي أتباعه وأوصاهم أن يتناولوها لذكراه، بل إن أول معجزة أجراها المسيح هي تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل وذلك لسقيا جموع الحاضرين وهو ما يبطل دعوى حرمة الخمر في المسيحية.

٦ — تبرز جانب الصراع بين بعض الأنبياء والبعض الآخر، إما من باب الحقد والحسد — كالصراع بين موسى وهارون — وإما من باب تكذيب كل نبي للآخر — كما وقع في سفر أرميا — وإما خوفا من السيطرة

= بعض الأسفار المشكوك فيها والتي لم ترد بالكتاب المتداول مثل سفر الحكمة ونحميا وطوبيا ويهوديت وتثنية الاشتراع، باروخ — إلخ كذلك لم أنقل شيئا عن إنجيل برنابا لعدم حجيته عند النصارى وما لم يرد له ذكر فلعدم ورود شيء به يتصل بالموضوع

(١) سورة غافر جزء آية ٧٨

والسلطان والجاه فيحرص كل نبى على أن يقتل الآخر أو يدفعه إلى ما يودى بحياته — كما وقع بين شاول وداود .

٧ — تقدم للواقف عليها تصوراً عن انطباع اليهود والنصارى عن الأنبياء ، فإذا ما كانت نظرتهم للأنبياء بهذه الصورة فإن نظريتهم لغير الأنبياء أو تعاملهم مع غير الأنبياء ينبغى أن يشاب بالحذر .

٨ — حرصت على نقلى النص ليكون ألزم فقد لا يصدق العقل المسلم ما ورد فى حق الأنبياء بحكم التصور القائم عنده من خلال القرآن الكريم والسنة كما أن القارىء قد يفهم من النص أكثر مما أتيح له فهمه .

٩ — لم أذكر الصغائر المضافة إلى الأنبياء لأن فى عصمة الأنبياء عن الصغائر قبل النبوة وبعدها خلاف بين المسلمين رغير المسلمين أيضاً[١] .

١٠ — بددت ظلمة ما نسبه الكتاب المقدس إلى الأنبياء بنور القرآن « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »[٢] .

١١ — وعذرى إلى من لا يرى البحث سوى النقل فقط أن قراءة الكتاب المقدس تستغرق فترة من الزمن فضلا عن اضطراب النص وغرابة المعنى خاصة إذا كان الهدف منثوراً فى ثنايا السطور .

١٢ — رأيت أن أذكر بعض الكبائر « الخطايا » وعقوبتها المقدرة فى الكتاب المقدس وخصصت منها ما خالفه الأنبياء بعد ذلك كشرب الخمر وعقوق الوالدين والزنا والردة وقتل الأبرياء والتمرد على الله ، والتجديف عليه ورفض تنفيذ تعاليم الله أو لعن قضائه الذى قضى به .. إلخ

(١) المواقف لعضد الدين الآيجى ص ٣٨٥ والمغنى للقاضى عبدالجبار ٢٨١/١٥ الهيئة المصرية ، الفصل فى الملل والنحل ٥٣/٥ ، الكتاب المقدس فى الميزان ، المقدمة ، رسالة فى اللاهوت فصل النبوة والأنبياء .

(٢) سورة المائدة : ١٥ ، ١٦

المعصية وموقف الكتاب المقدس منها

وردت نصوص عدة فى العهد القديم والجديد تحث الإنسان على الطاعة والالتزام وتبين أثر الطاعة للأفراد والمجتمع ، وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التى أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض ، وتأتى عليك جميع هذه البركات وتدركك إذا سمعت لصوت الرب إلهك »[١] .

وأما عقوبة المعاصى من قبل الرب فهى « إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدركك ، ملعوناً تكون فى المدينة وملعوناً تكون فى الحقل »[٢] .

كما ركزت التوراة على قضية التوحيد بصورة خاصة (أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت الأرض ولا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور ... »[٣] .

كما أوجبت التوراة كفارات مقدرة مفصلة على كل نفس تخطىء سهواً ، ورد ذلك فى الخروج ١٤/٢٩ واللاويين ٣/٤ ، ٧/٥ ، ٣/١٦ ، ١٩/٢٣ ، والعدد ١٦/٧ وفاوتت فى العقوبة بين الكاهن والمسئولين وعامة الناس ، فغلظت ذلك فى حق الكاهن (يقرب عن خطيته التى أخطأ ثوراً ابن بقر

(١) التثنية ١/٢٨ — ٣

(٢) التثنية ٢٨/ ١٥ — ١٧

(٣) الخروج ٢٠/٢٢

صحيحاً للرب ذبيحة خطية ... لاويين ٤/٣ وأما المسئول فإنه (إذا أخطأ وعمل بسهو واحد من جميع مناهى الرب إلهه التى لا ينبغى عملها وأثم، ثم أعلم بخطيته التى أخطأ بها يأتى بقربانه تيساً من المعز ذكراً صحيحاً ... لاويين ٢٢/٤ وإن سها كل جماعة إسرائيل وأخفى أمر عن أعين الجمع وعملوا واحدة من جميع مناهى الرب التى لا ينبغى عملها وأثموا ثم عرفت الخطية التى أخطأوا بها يقرب الجمع ثوراً بين بقر ذبيحة خطية... لاويين ١٣/٤—١٦

كما أوجبت الشريعة عقوبات مقدره متعددة على خطايا متنوعة وجعلت تطبيقها منوطاً بالمسئولين دون حق العفو أو العدل على العقوبة إلى غيرها، وما يهمنا فى هذا الموضوع هو الحدود والجنايات التالية :

١ — عقوبة الردة : ورد الأمر بالقتل حداً لكل من يتقرب لغير الله أو يكذب على الله أو يتخذ آلهة من دون الله ومن الدلائل على ذلك: « من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك ... الخروج ١/١٣—١٧

ومن جدف على اسم الرب فإنه يقتل ، يرجمه كل الجماعة رجما الغريب كالوطنى عندما يجدف على الاسم يقتل ، لاويين ١٥:٢٤—٢١

وكذلك ورد فى نفس السفر لا تصنعوا لكم أوثاناً ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتاً أو نصباً ولا تجعلوا فى أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له لأنى أنا الرب إلهكم ... صح ٢٦: ١ كما ورد فى التثنيه إصحاح كامل لبيان عقوبة المرتدين وأصحاب العبادات الباطلة والغاوين إما بالقتل أو الحرق أو الرجم .. تثنية ١٣: ١ — ١٨ ، ١٧: ٢—٧ والعقوبة هى : القتل رجماً ويستوى فى ذلك الفرد والجماعة .. لاويين ١٥:٢٤ ، كما أنه تنزيه الله عن الشبيه مطلوب أيضاً فقد ورد فى أشعيا (فبمن تشبهون الله ، وأى شبه تعادلون به ٤٠ : ١٨

وكذلك (بمن تشبهونى وتسوونى ٤٦ : ٥) وقد تبدى سبينوزا أمر الدفاع عن النصوص التى يوهم ظاهرها التشبيه فى فصلى النبوة والأنبياء فى كتابه : رسالة فى اللاهوت[١] .

٢ — عقوق الوالدين — من الكبائر عندهم — والعقوبة المقدرة التعزير أولا والقتل ثانياً .

أما دليل التعزير فهو ما ورد فى التثنية : (ملعون من يستخف بأبيه وأمه) ويقول جميع الشعب . . آمين ١٧ : ١٦

وأما الحد فهو ماورد فى الخروج (ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا .. ١٧:٢١ وفى اللاويين (كل إنسان سب أباه وأمه فإنه يقتل قد سب أباه وأمه دمه عليه ٢٠ : ٩ وفى الخروج (من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا .. ١٥:٢١ كما وردت نصوص أخرى فى الخروج ٢١ : ١٧ واللاويين ٩:٢٠ والتثنية ٢٧ : ١٦ وقد ذكرت هذا الحد لبيان الافتراء الذى نسب إلى يعقوب من خداعه لأبيه وتضليله له وكذبه عليه بالتعاون مع أمه .

٣ — عقوبة السرقة : السرقة محرمة عظم المسروق أم صغر إلا أن العقوبة تتفاوت بحسب حال المسروق والسارق وكذلك الزمان والمكان ، فالسرقة بالليل عقوبتها غير عقوبتها بالنهار وسرقة النهيس غير سرقة الثور والسرقة من المحروز غير السرقة من الكلأ المباح وضبط السارق ومعه ما سرق غير ضبطه بدون ما سرق . فالسارق بالليل وهو ينقب جداراً يقتل ولا شىء على القاتل . خروج ٢:٢٢ وأما بالنهار فلا يقتل ٣:٢٢ وإن كان المسروق شيئاً هزيلا يدفع مقابله مرتين إن كان موجوداً .. خروج ٤:٢٢

(١) رسالة فى اللاهوت . سبينوزا من ١٢٣ — ١٧٠

أما إذا بيع المسروق أو فقد يدفع السارق خمسة أضعاف خروج ٢٢ : ١ ومن سرق إنساناً وباعه يقتل قتلا . . خروج ٢١:١٦ وإذا لم يوجد مع السارق ما يدفع . بيع السارق وأخذ من ثمنه أو أخذ عبداً لفترة من الزمن ...

عقوبة الزنى : حرمة الزنى قطعية فى الكتاب المقدس . وفى الوصايا العشر (لا تزن) الخروج ٢٠ : ١٤ ومثل ذلك فى التثنية ٥:١٨ ومتى ٥:٢٧، ١٨:١٩ ومرقص ١٠/١٩ ولوقا ١٨:٢٠ والرسالة إلى أهل رومية ١٣:٩ ، ليتشدد فيجعل النظر إلى امرأة أجنبية بشهوة من قبيل الزنا . متى ٥ : ٢٨ بل إن العهد الجديد وهو — لجرمه — من مسوغات الطلاق فى المسيحية (من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ..متى ٥:٣٢) . وقد صرحت التوراة بالعقوبة المقدرة كما يلى :

إن كانت فتاة بكراً ورميت بزنا وثبت عدم بكورتها (يرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت لأنها عملت قباحة فى إسرائيل بزناها فى بيت أبيها ... تثنية ٢٢ : ٢١ وكل من ثبت عليه ذلك من الرجال يقتل إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتنزع الشر من إسرائيل[1] وتتفاوت صور العقوبة بحسب حال المزنى بها وبحسب الزمان والمكان (وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبه فإنه يقتل الزانى والزانية .

وإذا اضطجع رجل مع عورة أبيه فقد كشف عورة أبيه إنهما يقتلان دمهما عليه ، وإذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما قد فعل فاحشة دمهما عليه . وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة بالنار يحرقونه

(١) سفر التثنية ٢٢ : ٢٢

وإياهما لا يكون رذيلة بينكم وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هى عورته فذلك عار يقطعان أمام أعين بنى شعبها قد كشف عورة أخته يحمل ذنبه ... وإذا اضجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه يحملان ذنبهما يموتان عقيمين وإذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسه ...لاويين ٢٠/١٠- ٢ وإذا دنست إبنة كاهن بالزنى فقد دنست أباها بالنار تحرق .. لاويين ٩/٢١ ، ولذلك طلب الفريسيون من المسيح رجم الزانية[1] إلا أن عدم أهلية الشهود للشهادة جعلته لا يقيم الحد عليها[2] .

٥ — حرمة الخمر : نصوص التحريم ليست قطعية بل فيها الكراهة فقط كما ورد فى أمثال سليمان والخمر مستهزئة ١/٢٠ لا تكن بين شربى الخمر ٢٠/٢٣ السكر عجاج ومن يترنح بها فليس بحكيم ٢/٢٠ وراجع مادة خمر فى فهرست الكتاب المقدس .

على من تحرم الخمر ولماذا ؟ جمهور اليهود والنصارى على أن الخمر محرمة على ثلاثة طوائف فقط ، القضاة قبل الحكم والكهنة عند الدخول إلى خيمة الاجتماع ومن نذر نفسه أو نذره أهله لبيت الرب خادما . ورد فى التوراة ما يلى :

وكلم الرب هارون قائلا (خمرا وسكر لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكى لا تموتوا فرضا دهريا فى أجيالكم وللتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر ولتعليم بنى إسرائيل جميع الفرائض التى كلمهم الرب بها بيد موسى[3] — وفى حزقيال

(١) إنجيل يوحنا ٨/٤، ٥

(٢) يوحنا ٨/٦-١١

(٣) لاويين ١٠ / ٨ — ١١

(ولا يشرب كاهن خمراً عند دخوله إلى الدار الداخلية ٢١/٤٤ وقد وصف يحيى — لأنه نذير الرب وكاهن — بأنه « يكون عظيما أمام الرب وخمراً وسكراً لا يشرب... لوقا ١/١٥ وفى حق النذير ورد « وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى إسرائيل وقل لهم إذا انفرز رجل أو امرأة لينذر نذيرا لينتزر للرب ، فعن الخمر والسكر يفترز ولا يشرب خل الخمر ولا خل السكر ولا يشرب من نقيع العنبب ولا يأكل عنبا رطباً ولا يابساً كل أيام نذره لا يأكل من كل ما يعمل من جفنة الخمر[1] ... وعلة التحريم حتى لا يتأثر العقل عند إصدار الأحكام أو تعليم الغير أو العبادة ويلاحظ أن مدونى التوراة قد فاتهم أن حرمة الخمر فى حق الأنبياء أشد وجوبا من غيرهم لأنهم مصدر البلاغ وأحق الناس بالقدوة بدءا كما أن حياتهم تفوق حياة الرهبان من حيث الالتزام ولذلك فإنه فى ظل النسيان والخطأ من النساخ ندرك أن معظم الأنبياء كانوا يشربون الخمر ويقدمونها إلى غيرهم وأحيانا يوصون الأتباع بشربها كما سيرد فى حق نوح وداود وعيسى وغيرهم .

٦ — القصاص : حرمة النفس قطعية كما ورد فى الكتاب المقدس (سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه ٦/٩ ، وإذا أمات إنسان إنسانا فإنه يقتل . لاويين ١٧/٢٤ ويثبت الحد بشهادة الشهود سفر العدد ٣٠/٣٥ والعفو عن القصاص إلى غيره لا يجوز عدد ٣٠/٣٥ — ٣٣ والجروح قصاص خروج ٢٣/٢١ .

وقد نسب إلى الأنبياء سفك دماء الأبرياء فى كثير من المواطن كما سيرد بعد .

والآن نوضح ما نسب إلى الأنبياء فى الكتاب المقدس من خطايا ثم نعقب على ذلك بموقف القرآن من ذلك .

(١) سفر العدد ١/٥ — ٤

أولا : آدم عليه السلام :

صرحت التوراة بعناد آدم لله وتمرده على أمره وتعمده المخالفة مع عدم التصريح بتوبته — وإن نسبت مصدر الغواية إلى حواء — على وجه الإطلاق ، وقد مال المسيحيون إلى نفس الاتجاه مبينين أن الحكمة الإلهية اقتضت ذلك ليبقى الذنب ساريا فى ولد آدم حتى يأتى الفادى — المسيح — لترفع الخطيئة عن آدم وسائر ولده بصلب المسيح — كما يزعمون[1] — ورد فى التوراة (وقال — أى الله — لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى وصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكا وحسكا تنبت لك الأرض وتأكل عشب الحقل[2] ، ثم تذكر التوراة أن أن سبب خروج آدم من الجنة هو خوف الرب منه إذ قال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر .

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجر الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها ، فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجر الحياة)[3] .

(١) رومية ٢٥/٤ وكورنتوس الثانية ١٢/٥ وغلاطية ٤٨ والعبرانيين ٢٨/٩ .

(٢) التكوين ١٩٢/٨/٣

(٣) التكوين صح ١٧/٣ ، ١٨ ، ٢٢ — ٢٤

ثانيا : نوح عليه السلام :

صرحت التوراة بنبوته ورسالته وذكرت — ضمن سيرته الذاتية — أنه شرب الخمر فسكر ، وجار فى الدعاة فلعن من لا يستحق اللعنة كما ورد (وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ، ووجهاهما إلى الوراء فلم ينظرا عورة أبيهما فلم استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته . وقال فبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم[1] وكنعان هو ولد حام الذى أبصر عورة أبيه فتركه ولعن ولده .

ثالثا : تجارة إبراهيم بعرض زوجته بغية الدنيا وكتمه الحق فى ملك مصر وملك جرار :

أولا : فى مصر : ورد فى التوراة (وحدث جوع فى الأرض فانحدر إبراهيم إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لسارای امرأته إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك قولى إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك ، فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً ، ورآها رؤساء فرعون وخرجوها لدى فرعون . فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها وصار له

(١) تكوين ٩/٢٠ — ٢٧

غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال ، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارای امرأة إبرام فدعا الرب إبرام وقال ماهذا الذى صنعت لى لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك . لماذا قلت إنها أختى حتى أخذتها لى لتكون زوجتى ، والآن هوذا امرأتك خذها واذهب[1] .

ثانيا : فى جرار حين أراد إبرام العودة إلى ديار نائية عن لوط فمر بأرض جرار (وقال إبراهيم عن سارة امرأته هى أختى ، فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فإنها متزوجة ببعل — ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها ، فقال ياسيد أأمة بارة تقتل ، ألم يقل هو لى إنها أختى وهى أيضا نفسها قالت هو أخى ، بسلامة قلبى ونقاوة يدى فعلت هـــذا . .)[2] ثم ذكرت التوراة المكافأة التى نالها إبراهيم بعد ذلك (تكوين ١٤/٢٠ : ١٧) .

« يلاحظ أن قبول هذه القصة من الناحية العقلية أمر لا يتأتى لأن سارة فى الرحلة الأولى كانت فى سن السبعين وفى الرحلة الثانية كانت فى سن التسعين مما يتعذر الأرب فيها ومنها فضلا عن حياة الشظف التى كانت تعيشها وكثرة ترحالها والآلام النفسية التى كانت تعتريها بسبب عدم الإنجاب وهل يعجز ملوك ذلك الزمان عن نكاح الأبكار — بطريق مشروع أو غير مشروع — حتى ينتظرن من بلغن اليأس من الحياة بعد سن اليأس وقد ختمت القصة الثانية بنسبة الظلم إلى الله الذى انتقم من ملك جرار بسبب هذه السيدة رغم أنه لم يمسها (لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة امرأة إبراهيم)[3] .

(١) سفر التكوين صح ١٠/١٢ : ١٩

(٢) تكوين صح ٥٠٠١/٢٠

(٣) سفر التكوين صح ١٨/٢٠

رابعا : شرب لوط الخمر وارتكابه الفاحشة مع ابنتيه :

ومع أن الحدث لا يقبل لأسباب عدة منها : شيخوخة لوط، وعصمته كنبي ، ووقاعة لابنيته وهو مخمور وحمل الكبرى فى الليلة الأولى بمجرد الوقاع ، تكرار نفس الواقعة فى الليلة الثانية ، وكيف لم يدرك لوط فى اليوم الأول أثر الخمر به ، إلا أن العصبية قد دعت مؤلفى النص أن يدونوا ذلك من باب تعيير الموآبيين والعمونيين بأصلهم الحرام ، وهذا هو النص (وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت إبنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر إبنا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم والصغيرة ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بنى عمون إلى اليوم)[1] ولم تذكر التوراة شيئاً عن لوط بعد ذلك وهل عاصر الولادة من بنتيه أم مات قبل ذلك ... الخ .

(١) تكوين ١٩/٣٠ — ٣٨

خامسا : نسبة الكذب إلى إسحق تجارته بعرض زوجته وشربه للخمر :

إن ما سبق ذكره إلى إبراهيم منسوبا قد نسب مثله إلى إسحاق أيضا فالتوراة تذكر أن إسحاق أراد الهجرة إلى مصر فمنعه الرب وحثه على أن يتوجه إلى جرار حيث تحقق الوعد له بالبركة فى الأرض فتوجه إلى جرار « وسأله أهل المكان عن امرأته فقال هى أختى لأنه خاف أن يقول امرأتى لعل أهل المكان يقتلونى من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر وحدث إذ طالت له الايام هناك أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر وإذا اسحق يلاعب رفقه امرأته . فدعا أبيمالك أسحق وقال إنما هى إمرأتك فكيف تقول هى أختى ، فقال له إسحق لأنى قلت لعلى أموت بسببها ، فقال أبيمالك ما هذا الذى صنعت بنا . لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنبا ...)[1] .

وأما عن شربه الخمر فقد ورد (فقدم له — أى يعقوب — فأكل وأحضر له خمرا فشرب)[2] .

سادساً : خداع يعقوب عليه السلام لأبيه وكذبه عليه وتضليله إياه مستغلا عماه حتى نال البركة :

العدل فى التشريع اليهودى مفقود فى كثير من الجوانب والتى منها أن يعامل كبير الأبناء بما لا يعامل الصغير وذلك بأن تباركه نفس الوالد ويعطى حق البكورية ... الخ ونوال أحد الأمرين أو هما معا يكسب

(١) تكوين صح ٢٦/٧ : ١٠
(٢) تكوين ٢٧ : ٢٥

الولد ما ليس لغيره من أشقائه وإن كان سيء الطبع فاسد الأخلاق ، وقد صرحت التوراة برغبة إسحق فى نوال طعام من يد ولده — الأكبر — عيسو ليأكله وتباركه نفسه ، فخرج عيسو لتدبير الطعام وكانت رفقة أمهما سامعة لكلام زوجها فأوعزت إلى يعقوب — الابن الأصغر — أن يقدم الطعام لوالده لينال البركة من أبيه فخشى أن يعلم والده بأمره خاصة أنه يغاير عيسو فى جسمه وصوته فيكون ذلك — عند العلم به — سبب اللعنة لا البركة ، فقالت له أمه لعنتك على يا ابنى اسمع لقولى فقط واذهب خذ لى ، فذهب وأخذ وأحضر لأمه فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب ، وأخذت رفقة ثياب عيسو أبنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جدى المعزى ، وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها فدخل إلى أبيه وقال يا أبى فقال هانذا من أنت يا ابنى ، فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتنى ، قم اجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك... فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو ، ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيد عيسو أخيه فباركه وقال هل أنت هو ابنى عيسو ، فقال أنا هو ، فقال قدم لى لآكل من صيد ابنى حتى تباركك نفسى ، فقدم له فأكل وأحضر له خمرا فشرب ، فقال له إسحاق أبوه تقدم وقبلنى يا ابنى فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه وقال . . . فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر . .)[1].

ويلاحظ تكرار الكذب واتفاق يعقوب مع أمه على غش أبيه ونسبة الجهل إلى إسحاق وهو البدوى — حتى إنه لم يستطع أن يميز بين يدى ولده وجلد المعز وكيف يغيب عليه صوت أحد ولديه حتى يختلط بالآخر

(١) تكوين صح ٢٧ : ١٣/٢٧ مختصرا .

فيسلم ثم يكون فقدان العدل فى نوال يعقوب البركة دون أن يكون لعيسو حظ منها ، الخ.

مصارعة يعقوب لملاك الرب وغلبته إياه :

ومع أن العلاقة بين المؤمنين والملائكة علاقة تقرير واحترام ومحبة ولا سبيل للعداء بين النوعين إلا فى ظل الجهالة من الإنسان إلا أن الثورة قد صرحت بكثرة الخلافات بين الملائكة والبشر ومن أخصها ما وقع بين يعقوب وملاك الرب والذى ترتب عليه كسر حق فخذ يعقوب واستحق يعقوب أن يسمى باسرائيل ، فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركنى فقال له ما اسمك فقال يعقوب ، فقال لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل ..... فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى)[2] وقد ترجم لهذا الحدث فى الكتاب المقدس بهذا العنوان (مصارعة يعقوب ملاكا فى فنوئيل حيث دعى اسمه اسرائيل)[3].

علم يعقوب بزنا ابنته وسكوته على ذلك :

ومع أن الغيرة على العرض كادت أن تكون فطرة بين الإنسان والحيوان والطير (الكرام من كل نوع) إلا أن التوراة قد صرحت بأن ابنة يعقوب قد زنت وعلم بأمرها فلم يتغير وجهه ولم يقم حداً عليها (وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض فرآها

(١) تكوين ٣٤ : ٢٤/٣٢ : ٣١

(٢) أنظر صفحة ٩٤ من الطبعة المذكورة

شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها ، وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة ... وسمع يعقوب أنه نجس دينة ابنتـــه وأما بنوه فكانوا مع مواشيه فى الحقل فسكت يعقوب(١) .

علم يعقوب بزنا ابنه بسريته دون إقامة الحد عليه

ذكرت التوراة بأن إسرائيل قد نصب خيمته وراء مجدل عدر وحدث إذ كان اسرائيل ساكنا فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل ...)(٢) ولم يكن من يعقوب إلا قول لرأوبين (أنت ابنى بكرى قوتى وأول قدرتى فضل الرفعة وفضل العز فائرا كالماء لا تنفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته على فراش صعد ..)(٣) .

خداعة للابان صهره وحموه

ذكرت التوراة أن يعقوب قد خدم سنين عددا مهرا للبنة ثم خدم مثلها مهرا لراحيل ابنتا لابان وقد انتهت فترة الخدمة بحيلة إحتالها يعقوب مفصلة فى الكتاب المقدس . أما راحيل زوجته فقد سرقت أصنام أبيها وخدع يعقوب قلب لابان الآرامى إذ لم يخبره بأنه هارب(٤) ، وقد أدرك لابان يعقوب أثناء الهرب فقال له (فى قدرة يدى أن أصنع بكم شرا ولكن اله أبيكم كلمنى البارحة قائلا احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر والآن أنت ذهبت لأنك قد اشتقت إلى بيت أبيك ولكن لماذا سرقت آلهتى)(٥) .

(١) تكوين ٣٤/١ : ٥
(٢) تكوين ٣٥/٢١ : ٢٢
(٣) تكوين ٤٩/٣ ، ٤
(٤) تكوين ٣١/١٩
(٥) تكوين ٣١/٢٩ ، ٣٠

سابعا : يوسف عليه السلام :

المراودة التى صرح بها القرآن قريبة الشبه مما ورد بالتوراة مع تصريح التوراته برفض يوسف المعصية(١) . ولكن القرآن قد قدم براهين عدة على براءته منها وصفه بالاخلاص وليس للشيطان على المخلصين سلطان بصريح النص وصفه بالعبودية ولاحظ للشيطان مع العبودية ورفض يوسف الصريح للمعصية وشهادة ذى القرابة القريبة منها وإعلانه أن ذلك من كيدها والطلب من يوسف أن يستر الأمر وأمرها بالاستغفار وشهادة النسوة بعد ذلك بالبراءة وحرص يوسف على أن يسجن بدلا من أن يعصى وشهادة المرأة بعد ذلك قائله (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين)(٢)

ثامنا : موسى عليه السلام وقتله المصرى عمداً :

وعتابه لله فى كثير من المواطن

صرح القرآن بأن موسى شاء أن يدرأ عادية المعتدى من المصريين الجبابرة على أحد المستضعفين سواء أكان من بنى اسرائيل ، أم كان من المؤمنين بموسى فى ظل طغيان فرعون — فوكزه موسى — أى ضربه بمجمع اليد بقوة — وشاءت الأقدار أن يلقى المضروب حتفه فأدرك موسى سوء ماصنع قائلا (رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين)(٣)

أما التوراة فقد صرحت أن القتل كان عن عمد ، وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوانه لينظر فى أثقالهم فرأى رجلا

(١) تكوين ٣٩ كاملا
(٢) جزأ آية ٥١ واقرأ الآيات من ٢٢ إلى ٣٤ من سورة يوسف
(٣) القصص آية ١٥ ، ١٦

مصريا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته ، فالتفت إلى هناك وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصرى وطمره فى الرمل)[1]

وفى أحد حوارات موسى مع ربه (قال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما فتضرع موسى أمام الرب الهه وقال لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوه عظيمة ويد شديدة لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه)[2] .

حث موسى أتباعه على السلب والنهب والسرقة حين الهجرة من مصر:

تصرح التوراة بأن الرب قد أمر موسى عليه السلام (أن يتكلم فى مسامع الشعب وأن يطلب كل رجل صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين وأيضا الرجل موسى كان عظيما جدا فى أرض مصر فى عيون عبيد فرعون وعيون الشعب)[3] . ثم نسبوا إلى الله قوله (وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة أمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين)[4] (وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعروهم فسلبوا المصريين)[5] .

(١) تكوين ٢/١١،١٢
(٢) خروج ٣٢/١٠-١٢
(٣) الخروج ١١/٢،٣
(٤) الخروج ٣/٢٢،٢٣
(٥) الخروج ١٢/٣٥،٣٦

تاسعاً : صنع هارون النبى لعجل مسبوك ليعبد من دون الله :

ذكرت التوراة قصة ذهاب موسى لمناجاة ربه وأنه قد خلف هارون مع بنى إسرائيل (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون ، وقال له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعة عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظرها رون بنى مذبحا أمامه ، ونادى هارون وقال غدا عيد للرب ، فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب كله للأكل والشرب ثم قاموا للعب)[1] .

والنص صريح الدلالة فى أن الذى صنع العجل هو هارون وأنه بنى مذبحا أمامه وهو من خصائص الكهانة فى الفكر اليهودى حيث تقوم القرابين إلى المعبود أو المستحق للعبادة وأنه أقرهم على صنيعهم وشاركهم فيه .

وقد علل هذا الأمر مؤلفوا كتاب الهداية بقولهم « كان مقصوده — أى هارون عليه السلام — إكتساب مهلة إلى أن يأتى موسى لعجزه

(١) الخروج ٣٢/١ — ٦ وأنظر القضاة ٧/٢٤ — ٢٧ والتثنية ٩/١٦ .

عن مقاومتهم بالقوة كما أن طلبه نزع أقراط الذهب من آذان العشاء كانت غايته صرف القوم عن ذلك إذ لا شيء أعز عند المرأة من حليها فكان يظن أن نساءهم يبخلن بحليهن فلا يتحقق هذا الطلب، ولكن لم يتحقق ظنه فأخذ الحلى وصوره بالأزميل فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، ويدعون أن القرآن قد أخذ هذه القصة وذكرها في عدة محال مع اضطراب حين الذكر[1].

عاشراً : دلائل نبوة شاول عند أهل الكتاب وارتفاع النبوة عنه والخلاف بينه وبين داود عليه السلام :

وإذا كان الأنبياء يشكلون نظماً متسقاً وعقداً ثميناً في واقع الحياة الإنسانية تقوم العلاقة بين أفراده على الانسجام التام فإننا نجد الصراع أوضح ما يكون بين الأنبياء في بعض المواطن في التوراة حيث السباب والشتم والخداع والمهادنة وتوقيع اتفاقيات سلام ونقضها بدون علم ولغير سبب إلا هوى النفس والرغبة في النصر أو الزعامة وسفر صموئيل الأول خاصة قد فصل القول في هذا، تذكر العلاقة بين داود عليه السلام وشاول الذي يؤمن اليهود بنبوته للدلائل الآتية : —

(١) كتاب الهداية ص ٣٥ ط بمعرفة المرسلين الأمريكيين بمصر ١٨٩٨ م .

أولا : دلائل نبوة شاول من العهد القديم :

(ا) إخبار صموئيل لشاول قائلا له « بعد ذلك تأتي إلى جبعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناى وعود وهم يتنبأون فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر .

وإذا أتت هذه الآيات عليك فافعل ما وجدته يدك لأن الله معك... ولما جاءوا إلى هناك إلى جبعة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحل عليه روح الله فتنبأ في وسطهم، ولما رآه جميع الذين عرفوه منذ أمس وما قبله أنه يتنبأ مع الأنبياء قال الشعب الواحد لصاحبه ماذا صار لابن قيس أشاول أيضاً بين الأنبياء »[1] .

(ب) « وكان عليه أيضاً روح الله فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء إلى نايوت في الرامة فخلع هو ثيابه وتنبأ هو أيضاً أمام صموئيل وانطرح عرياناً ذلك النهار كله وكل الليل لذلك يقولون أشاول أيضاً بين الأنبياء »[2] .

(ح) فحل روح الله شاول عندما سمع هذا الكلام وحمى غضبه جداً »[3] .

(١) صموئيل الأول ١٠/٥ : ١٣
(٢) صموئيل الأول ١٩/٢٣
(٣) صموئيل الأول ١١/٦ .

شاول النبى لم ينفذ تعاليم الله فعوقب

وعندما أراد شاول أن يحارب الفلسطينيين وأعد جيشاً قوامه ثلاثة آلاف إثنان منهما معه وواحد مع ولده يوناثان وقد أعد الفلسطينيون ثلاثين ألفاً ، قدم شاول المحرقات للرب حيث أتى صموئيل الذى قال لشاول (قد انحمقت لم تحفظ وصية الرب الهك التى أمرك بها لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على إسرائيل إلى الأبد ، وأما الآن فمملكتك لا تقوم ، قد انتخب الرب لنفسه رجلا حسب قلبه وأمره الرب أن يترأس على شعبه لأنك لم تحفظ ما أمرك به الرب)[1] .

كما صرحت التوراة بأن الرب ندم على إعطاء شاول هذه المنزلة (وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا : ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى فاغتاظ صموئيل وصرخ إلى الليل كله)[2] .

وقد أبدى شاول أسفه لسوء صنيعه فقال لصموئيل (أخطأت لأنى تعديت قول الرب وكلامك لأنى خفت من الشعب وسمعت لصوتهم والآن فاغفر خطيتى وارجع معى فاسجد للرب ، فقال صموئيل لشاول لا أرجع معك لأنك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكا على إسرائيل)[3] .

---

(١) صموئيل الأول ١٣/١٣ : ١٥
(٢) صموئيل الأول ١٥ / ١٠ — ١٢
(٣) صموئيل الأول ١٥ / ٢٤ — ٢٣

إرتفاع النبوة عن شاول وحلول الشيطان عليه

وقد ذكرت التوراة أن روح الرب — أى الوحى أو الإلهام أوهما معاً — قد تخلى عن شاول (وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح ردىء من قبل الرب ، فقال عبيد شاول هوذا روح ردىء من قبل الله يبغتك فليأمر سيدنا عبيده قدامه أن يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعود ويكون إذا كان عليه الروح الردى من قبل الله أنه يضرب بيده فتطيب)[1] .

الصراع بين شاول وداود بعد علم الأول بنبوة الثانى

تصرح التوراة أن شاول خرج لحرب الفلسطينيين وقد برز من بينهم من يعير الإسرائيليين بالجبن والخور معلنا من يبارز ، وكان داود عليه السلام قد أتى لرؤيا إخوته بالجيش وعند ما رأى التحدى طلب من شاول — الملك وقائد الجيش — أن يتيح له الفرصة لحرب جليات فلما مكن له قتله داود عليه السلام[2] وبدلا من أن يكافىء داود من قبل شاول إذا به يحقد عليه ويحسد ويحرص على قتله ، وقد رصد له من يخبره بكل حركته (وكان فى الغد أن الروح الردى من قبل الله اقتحم شاول وحبه فى وسط البيت وكان داود يضرب بيده كما فى يوم فيوم وكان الرمح بيد شاول... وكان شاول يخاف داود لأن الرب كان معه وقد فارق شاول)[3] .

---

(١) صموئيل الأول ١٤/١٦ : ١٦
(٢) صموئيل الأول ٥٨/١٧
(٣) صموئيل الأول ١٠/١٨ — ١٢

أغرب صداق (مهر امرأة) عرفه التاريخ

لم يستطع شاول أن يقتل داود عليه السلام لقوته وسلطانه وحب الاسرائيليين له ، فأعطاه بعض الجند وعزله ثم حرص شاول بعد ذلك على أن يزوج ابنته لداود ، واحتال لذلك فما كان من عبيد شاول إلا أن اقتنعوا بأن مهر ابنة داود ليست فى مال مراعاة لضيق يد داود (وقال شاول أعطيه إياها فتكون له شركا وتكون يد الفلسطينيين عليه ، وقال شاول لداود ثانية تصاهرنى اليوم ، وأمر شاول عبيده تكلموا مع داود سراً قائلين هوذا قد سر بك الملك وجميع عبيده قد أحبوك فالآن صاهر الملك ، فتكلم عبيد شاول فى أذنى داود بهذا الكلام ، فقال داود هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك وأنا رجل مسكين وحقير ، فأخبر شاول عبيده قائلين بمثل هذا الكلام تكلم داود .

فقال شاول هكذا تقولون لداود ليست مسرة الملك بالمهر بل بمئة غلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك ، وكان شاول يتفكر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين ، فأخبر عبيده داود بهذا الكلام فحسن الكلام فى عينى داود أن يصاهر الملك ، ولم تكمل الأيام حتى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتى رجل وأتى داود بغلفهم ، فأكملوها للملك لمصاهرة الملك فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة .... وعاد شاول يخاف داود بعد وصار شاول عدواً لداود كل الأيام[1] .

حادى عشر : ما ينسب إلى داود عليه السلام :

إن أقصى ما انتهى إليه البحث فى الكتاب المقدس فى حديث عما نسب إلى داود مما لا يقبل عقلا هو ارتكابه الفاحشة مع زوجة أوريا الحثى وقد

(١) صموئيل الأول ١٨/٢١ : ٢٩

تأثر بعض المفسرين المسلمين بذلك فصرحوا بأن قصة الحكمين اللذين أتيا إلى داود للفصل بينهما هى من باب التورية[1] ، ولكن التوراة قد نسبت إلى داود الجبن والضعف وشرب الخمر وقتله من لا يستحق القتل وسقياه الخمر لجنده وقيام أحد أولاده بالزنا بأخته دون أن يعاقبه أو يزجره بل إنه غضب لأن شقيق المزنى بها قد قتل الزانى (أخوه لأبيه) وهذه النصوص الدالة على ذلك .

(ا) شرب داود للخمر : ورد أن داود كان فى طريقه لاغتصاب أملاك نابال ، فبادرت أبيجال وأخذت مئتى رغيف خبز وزقى خمر وخمسة خرفان مهيأة .. فأخذ داود من يدها ما أتت به إليه وقال لها اصعدى بسلام إلى بيتك انظرى قد سمعت لصوتك ورفعت وجهك[2] وقد تزوج داود هذه السيدة بعد وفاة زوجها[3] .

(ب) غضب داود على فعل الرب : (فحمى غضب الرب على عزه — أحد حاملى العجلة التى يركبها الرب — وضربه الله هناك لأجل غفلة فمات هناك لدى تابوت الله ، فاغتاظ داود لأن الرب اقتحم عزة اقتحاماً وسمى ذلك الموضع فارص عزة إلى هذا اليوم)[4] .

(ج) سقى داود جنده الخمر : (ولما انتهى داود من إصعاد المحرقات وذبائح السلامة بارك الشعب باسم رب الجنود ، وقسم على جميع الشعب

(١) البحر المحيط ٣٢١/٧ الكشاف ٣٦٧/٣ زاد المسير ١١٨/٧

(٢) صموئيل الأول ١٨/٢٥ ، ٣٥

(٣) صموئيل الأول ٤٢/٢٥

(٤) صموئيل الثانى ٦/٧ ، ٨

على كل جمهور إسرائيل رجالا ونساء على كل واحد رغيف خبز وكأس وخمر وقرص زبيب ثم ذهب كل الشعب كل واحد إلى بيته)[1] .

(د) قتل داود من لا يستحق القتل : رغم ماصرح به العهد القديم من العداء بين شاول وداود إلا أنه قد صرح أنه بعد وفاة شاول أتى رجل من دياره ليخبر داود بأمر شاول فقتله (ثم دعا داود واحداً من الغلمان وقال تقدم أوقع به فضربه فمات)[2] .

(هـ) رغم مانسب إلى داود من قوة وبطش وفتك بالأعداء إلا أن العهد القديم قد ذكر أنه حين صار إلى جت هاربا من شاول وخاف جداً من أخيش ملك جت ، فغير عقله فى أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته ، فقال أخيش لعبيده هو ذا ترون الرجل مجنونا فلماذا تأتون به إلى ، ألقلى محتاج إلى مجانين حتى أتيتم بهذا ليتجنن على ....[3] .

(و) زنا أحد أولاد داود بأخته لأبيه وعلم داود بذلك وتركه دون عقاب :

تصرح التوراة بأن أمنون بن داود أحب أخته تامار فلما لم يتمكن من جماعها تمارض وطلب من والده أن تقوم أخته — لأبيه — بتمريضه حتى إذا أتت إليه — أى مكان نومه — أخرج كافة الخدم (فأخذت تامار الكعك الذى عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع ، وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالى اضطجعى معى ياأختى ، فقالت له ياأخى لاتذلنى لأنه لايفعل هكذا فى إسرائيل لاتعمل هذه القباحة ... فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها ... ولما سمع الملك

(٢،١) صموئيل الثانى ١٥/١

(٣) صموئيل الأول ١٢/٢١ : ١٥

داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جداً)[1] وعندما انتقم أبشالوم — شقيق تامارا وأخ أمنون لأبيه — من أمنون بقتله (فقام الملك وفرق ثيابه واضطجع على الأرض وجميع عبيده واقفون وثيابهم ممزقة)[2] .

(ل) زنا داود بامرأة أوريا الحثى ثم زواجه منها بعد قتله لزوجها :

(وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى ، فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى ، فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلى أوريا الحثى فأرسل يوآب أوريا إلى داود ، فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب ..... وفى الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا ، وكتب فى المكتوب يقول اجعلوا أوريا فى الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت .. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثى أيضا ... فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلتها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا ، وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب)[3] ، وقد أرسل الرب ناثان ليبين لداود جرم فعله والعقوبات التى ضربت عليه وعلى نبيه من بعده وهو ما نصله الاصحاح الثالث عشر كاملا .

(١) صموئيل الثانى ١٣/١ : ٢١ (٢) صموئيل الثانى ٣٠/١٣

(٣) صموئيل الثانى الاصحاح الحادى عشر .

ثانى عشر : ما ينسب إلى سليمان عليه السلام :

لم يسلم سليمان من أذى اليهود أيضا فقد نسبوا إليه ما يلى :

(ا) ارتداد سليمان فى أخريات حياته بمجاملة لنسائه فقد ورد فى سفر الملوك الأول (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لاتدخلون إليهم وهم لايدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكان له سبع مئة من السيدات وثلاث مئة من السرارى فأمالت النساء قلبه وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمان قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه .

فذهب داود وراء عشتروت إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون .

وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان لأن إقلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين ، وأوصاه فى هذا الأمر أن لايتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب ، فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإن أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك . إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزقها)[1]

(١) الملوك الأول صح ١١/١ : ١٢

(ب) قتل سليمان لأدونيا أخيه لأنه طلب الزواج من خادمة أبيه (أبيشج) فلقد طلب أدونيا من بتشيع — أم سليمان) أن تكلم له سليمان أخيه فى الزواج من — أبيشج خادمة أبيه فى الكبر — فكلمته قائلا : لتعط أبيشج الشوغية لأدونيا أخيك امرأة ... فأرسل الملك سليمان بيد بنايا هوبن يهو ياداع فبطش به فمات)[1] وهو من باب قتل النفس بغير الحق مع أن عقوبته القصاص فى التشريع عندهم .

ثالث عشر : أيوب عليه السلام وما نسب إليه :

يصور العهد القديم العلاقة بين أيوب والله كأسوأ ما تكون ، فلقد سمح الرب للشيطان أن يجرب أيوب وأن أيوب لعن يوم ميلاده وجزع من قضاء الرب واحتج عليه فى إرادته وتوجه إلى ربه سائلا عن سبب ابتلائه وإظهار الله لأيوب مدى جهله وضيقه وكم كان الكهنة يدلون أيوب على الصواب ويبلغونه مراد الرب ... نذكر الشواهد الدالة على ذلك .

(أ) تسلط الشيطان على أيوب من قبل الرب ، لقد صرح الكتاب المقدس بأن الشيطان قد تسلط على أيوب مرات عدة وأصابه فى كل مرة تسلط عليه فيها وكان ذلك بإذن من الرب لكى يجرب الشيطان أيوب ومن هذه المرات ما يلى : كما ورد بنفس العنوان فى الاصحاح الأول والثانى :

١ — سماح الرب للشيطان بأن يجرب أيوب وضربه إياه ضربات متوالية ، وذلك على أثر طلب الشيطان من الرب أن يبتلى أيوب فى ماله فأستجاب الرب لطلب الشيطان (فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدى أيوب لأنه ليس مثله فى الأرض رجل كامل ومستقيم يتقى الله

(١) الملوك الأول ١٣/١ : ١٦

ويحيد عن الشر . فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجانا يتقى أيوب الله . أليس أنك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه فى الأرض ولكن أبسط يدك الآن ومس كل ماله فإنه فى وجهك يجدف عليك . فقال الرب للشيطان هو ذا كل ماله فى يدك وإنما إليه لا تمد يدك ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب . وكان ذات يوم وأبناؤه وبناته يأكلون ويشربون خمرا فى بيت أخيهم الأكبر ، أن رسولا جاء إلى أيوب وقال البقر كانت تحرث والأتن كانت ترعى بجانبها فسقط عليها السبئيون وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت وحدى لأخبرك . وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال نار الله سقطت من السماء فأحرقت الغنم والغلمان وأكلتهم ونجوت أنا وحدى لأخبرك . وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال . الكلانيون عينوا ثلاث فرق فهجموا على الجمال وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت أنا وحدى لأخبرك . وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال بنوك وبناتك كانوا يأكلون ويشربون خمرا فى بيت أخيهم الأكبر . وإذا ريح شديدة جاءت من عبر القفر وصدمت زوايا البيت الأربع فسقط على الغلمان فماتوا ونجوت أنا وحدى لأخبرك . فقام أيوب ومزق جبته وخز شعر رأسه وخر على الأرض وسجد وقال عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود إلى هناك ... (١) .

ويلاحظ على هذا النص ما يلى :

(أ) تسلط الشيطان على أولاد أيوب .

(ب) جهل الاله بحقيقة أيوب وإخبار الشيطان له بذلك .

(١) سفر أيوب ١/٨ : ٢١

(ج) شرب أولاد أيوب الخمر رغم وصفهم بأنهم بنو الله ، أيوب ٢٦/١ ، أى المؤمنون .

(د) قصر التسلط على الجانب المادى وهو السمة السائدة فى الفكر اليهودى .

(هـ) نسبة فعل الشيطان إلى الله لجهل أيوب بذلك مع أنه نبى .

(و) سلطان الشيطان المنطلق حيث أهلك الزرع والحرث والنسل فى وقت واحد . وقد حزن الرب على ذلك حتى قال الشيطان (وقد هيجتنى عليه لأبتلعه بلا سبب . فأجاب الشيطان الرب وقال جلد بجلد ...)(١) .

(ب) سماح الرب للشيطان بأن يجرب أيوب فى شخصه . حيث استأذن الرب فأذن له (فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب بقرح ردى من باطن قدمه إلى هامته ، فأخذ لنفسه مشقفة ليحتك بها وهو جالس فى وسط الرماد ... (٢)

(ج) إثبات صدق خبر الشيطان وبطلان علم الرحمن كما يزعم أهل الكتاب ، ففى النص الأول ورد أن الشيطان قال للحق سبحانه إن ابتلاء أيوب يثبت عدم إيمانه ... الخ ثم ذكر مؤلفو الكتاب المقدس أن أيوب قد جزع لما أصابه (بعد هذا فتح أيوب فاه وسب يومه وأخذ يتكلم فقال ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه والليل الذى قال قد حبل برجل . ليكن ذلك اليوم ظلاما لا يفتن به الله من فوق ولا يشرق عليه نهار ليمسكه الظلام وظل الموت ليحل عليه سحاب لترعبه كاسفات النهار أما ذلك الليل فليمسكه الدجى ولا يفرح بين أيام السنة ولا يدخلن فى

(١) أيوب ٢/٣ ، ٤

(٢) أيوب ٢/٧

عداد الشهور . هو ذا ذلك الليل ليكن عاقرا لا يسمع فيه هتاف ، ليعلنه لاعنوا اليوم المستعدون لإيقاظ التنين .. لم لم أمت من الرحم . عندما خرجت من البطن لم لم أسلم الروح .. [1].

(د) جزعه من قضاء الله وتمنيه الموت . صرح الكتاب المقدس بأن أيوب لم يقدر على الصبر فقال (ياليت طلبتي تأتي ويعطيني الله رجائي أن يرضى الله بأن يسحقني ويطلق يده فيقطعني فلا تزال تعزيتي وابتهاجي في عذاب لا يشفق إن لم أجحد كلام القدوس ، ما هي قوتي حتى أنتظر وما هي نهايتي حتى أصبر نفسي . هل قوتي قوة الحجارة . هل لحمي نحاس . ألا إنه ليست في معونتي والمساعدة مطرودة عني[2] .

(ه) إحتجاجه على قضاء الله وذمه لله على أفعاله وتصويره إياه بأنه شرير . هكذا ورد في الكتاب المقدس كما يدرك من النصوص التالية (ما هو الإنسان حتى تعتبره وحتى تضع عليه قلبك وتتعهده كل صباح وكل لحظة تمتحنه . حتى متى لا تلتفت عني ولا ترخيني ريثما أبلع ريقي . أأخطأت ماذا أفعل يا رقيب الناس . لماذا جعلتني عاثورا لنفسك حتى أكون على نفسي حملا . ولماذا لا تغفر ذنبي ولا تزيل إثمي لأني الآن اضطجع في التراب تطلبني فلا أكون ..)[3].

ويقول أيوب كذلك (قد كرهت نفسي حياتي . أسيب شكواي أتكلم في مرارة نفسي . قائلا الله لا تستذ نبني فهمني لماذا تخاصمني . أحسن عندك أن تظلم أن ترذل عمل يديك وتشرق على مشورة الأشرار ألك عينا بشر أم كنظر الإنسان تنظر . أأيامك كأيام الإنسان أم سنوك

(١) سفر أيوب ٣/١ : ١٢
(٢) أيوب ٦/٨ : ١٣
(٣) أيوب ٧/١٧ — ٢١

كأيام الرجل حتى تبحث عن إثمي وتفتش على خطيتي . في علمك أني لست مذنبا ولا منقذ من يدك . يداك كونتاني وصنعتاني كلي جميعا أفتبتلعني . أذكر أنك جبلتني كالطين أفتعيدني إلى التراب . ألم تصبني كاللبن وخثرتني كالجبن كسوتني جلدا ولحما فنسجتني بعظام وعصب . منحتني حياة ورحمة وحفظت عنايتك روحي . لكنك كتمت هذه في قلبك علمت أن هذا عندك . إن أخطأت تلاحظني ولا تبرئني من إثمي . إن أذنبت فويل لي وإن تبررت لا أرفع رأسي . إني شبعان هوانا وناظر مذلتي . وإن ارتفع تصطادني كأسد ثم تعود وتتجبر علي . تجدد شهودك تجاهي وتزيد غضبك علي ثوب وجيش ضدي ، فلماذا أخرجتني من الرحم ... »[1] .

(و) تضرعه إلى الله ليستعلم سبب بليته : حيث خاطب أيوب ربه بقوله « ابعد يديك عني ولا تدع هيبتك ترعبني . ثم أدع فأنا أجيب أو أتكلم فتجاوبني . كم لي من الآثام والخطايا اعلمني ذنبي وخطيتي لماذا تحجب وجهك وتحسبني عدوا لك . أترعب ورقة مندفعة وتطارد قشا يابسا . لأنك كتبت علي أمورا مرة وورثتني آثام صباي . جعلت رجلي في المقطرة ... »[2] .

(ل) وتحت عنوان مخاطبة الله أيوب وإظهاره له ضعفه وجهله ورد حديث مستفيض في الاصحاح الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين والأربعين عتاب الله لأيوب بسبب جهله وضعفه عتابا يدل على أن المخاطب — رغم التصريح بنبوته — لا علم له بقدرة الله ولا تصرفه في ملكه وكونه . وهو أمر لا يقول به عاقل فضلا عن كونه نبي . وقد تعذر النقل خشية الاطالة .

(١) أيوب ١٠/١ : ١٨
(٢) أيوب ١٣/٢١ : ٢٧

رابع عشر: سقاية نحميا للملك:

وإذا كان الإسلام قد لعن فى الخمر عشرا، منهم حاملها والمحمولة إليه[1] إلا أن التوراة والإنجيل لم يقطعا بحرمة الخمر بدليل تناول معظم الأنبياء لها أو تقديمهم إياها لغيرهم ومن هؤلاء النبى نحميا حيث ورد «وفى شهر نيسان فى السنة العشرين لأرتحشتا الملك كانت خمرا أمامه فحملت الخمر وأعطيت الملك ولم أكن قبل مكموا أمامه ...»[2].

خامس عشر: اعلان آرميا أن الدعوة إلى الله ذلة ولعنة ليوم ميلاده:

هكذا صرح الإصحاح العشرون من سفر آرميا بأنه قد شكى إلى ربه ما وجده عبر حياته فى أسلوب يعبر عن الخط ويظهر المنة على ربه ويذكر ربه بما قام به من جهد فى سبيل البلاغ «لأن كلمة الرب صارت لى للعار وللسخرة كل النهار...» ثم لعن يوم ميلاده وتمنى أن لم يكن شيئا «ملعون اليوم الذى ولدت فيه. اليوم الذى ولدتنى فيه أمى لا يكن مباركا. ملعون الانسان الذى بشر أبى قائلا قد ولد لك ابن مفرحا إياه فرحا وليكن ذلك الانسان كالمدن التى قلبها الرب ولم يندم فيسمع صياحا فى الصباح وجلبة فى وقت الظهيرة. لأنه لم يقتلنى من الرحم فكانت لى أمى قبرى ورحمها حبلى إلى الأبد. لماذا خرجت من الرحم لأرى تعبا وحزنا فتنفنى بالخزى أيامى»[3].

(١) الترمذى ك البيوع ٥٩ وابن ماجة ك الأشربة ٦
(٢) نحميا ١/٢
(٣) آرميا صح ١٤/٢٠ : ١٨

سادس عشر: غضب يونان لتوبة الرب على شعبه:

واعلان ذلك فى وجه الرب:

وردت قصة يونس عليه السلام فى العهد القديم وأنه قد أرسل إلى أهل نينوى. فدعاهم فاستجابوا وتابوا «فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه»[1]. «فغم ذلك يونان غما شديدا فاغتاظ. وصلى إلى الرب وقال آه يارب أليس هذا كلامى إذ كنت بعد فى أرضى لذلك بادرت بالهرب إلى ترشيش لأنى علمت أنك إله رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر. فالآن يارب خذ نفسى منى لأن موتى خير من حياتى. فقال الرب هل اغتظت بالصواب، ثم عبر يونان عن غضبه كما ذكرت التوراة حيث إنه قد «خرج يونان من المدينة وجلس شرقى المدينة وصنع لنفسه هناك مظلة وجلس تحتها فى الظل حتى يرى ماذا يحدث فى المدينة...»[2].

كذب بعض الأنبياء على بعض وتضليلهم لبعض

كثيرا ما ذكر الكتاب المقدس أحداثا نسبت لأنبياء لم يصرح باسمهم. ومن الأمور التى وردت أن رجلا من يهوذا قد تنبأ وأن الرب قد ألزمه بتعاليم عدة فأخبر بنبوأته «وكان بنى شيخ ساكنا فى بيت إيل فأتى بنوه وقصوا عليه كل العمل الذى عمله رجل الله ذلك اليوم فى بيت إيل وقصوا على أبيهم الكلام الذى تكلم به إلى الملك ــ»[3] فسار إليه

(١) يونان ٣/١٠
(٢) يونان ٤/١ : ٥
(٤) الملوك الأول ١٣/١٢

وقال له « أنا أيضا نبى مثلك وقد كلمنى ملاك بكلام الرب قائلا ارجع به معك إلى بيتك فيأكل خبزا ويشرب ماء كذلك عليه. فرجع معه وأكل خبزا فى بيته وشرب ماء . وبينما هما جالسان على المائدة كان كلام الرب إلى النبى الذى أرجعه . فصاح إلى رجل الله الذى جاء من يهوذا قائلا هكذا قال الرب من أجل أنك خالفت قول الرب ولم تحفظ الوصية التى أوصاك بها الرب الهك . فرجعت وأكلت خبزا وشربت ماء فى الموضع الذى قال لك لا تأكل فيه خبزا ولا تشرب ماء لا تدخل جثتك قبر أبيك »[1].

والقصة تدل على أمرين :

الأول : مخالفة النبى لأمر ربه فاستحق اللعنة .

الثانى : ضحك أحد النبيين على الآخر .

خاتمة نظرة العهد القديم إلى الأنبياء والمرسلين

وهكذا رأينا أنفسنا أمام أنبياء ورد ذكرهم فى العهد القديم الذى لم يرع لهم حقا ولم يحفظ لهم كرامة تذكر أشياء نسبت إلى بعض الأنبياء لا تقبل عقلا حتى ظهر منهم المرتد وشارب الخمر وهاتك العرض وسافك الدم الحرام والغاصب على الرب النادم على أفعاله الجاهل بقدره. ومنهم المكذب لغيره من الأنبياء المفاتل له ومنهم المشتغل بالكهانة والسحر الذى أفنى حياته للتنبؤ للملوك والرؤساء فقط كما ورد فى سفر أخبار الأيام الثانى خاصة مما يدل دلالة قطعية على وقوع الكبيرة من الأنبياء والمرسلين دون مراعاة لعصمة أو اعتبار لقدوة والله يعلم أن الأنبياء مما نسب إليهم براء .

(١) الملوك الأول ١٣ / ١٨ — ٢٣

يؤمن جمهور النصارى بحجية العهد القديم كمصدر للتشريع عملا بالنص (ما جئت لأنقض بل لأكمل ...)[1] .

وبناء عليه فإن ما نسب إلى الأنبياء فى العهد القديم مسلم عندهم ، وكان الأولى بمؤلفى العهد الجديد أن ينزهوا المسيح — على الأقل — عما نسب إليه من كبائر وقبائح لا تقبل عقلا حتى صار المسيح مظلوما من أتباعه ولم يحظ بحظ وافر من المدح والثناء والتقدير والاحترام إلا فى القرآن الكريم كما سيتجلى بعد ومن يقرأ الأناجيل الأربعة يدرك أن المسيح كان من شربى الخمر ويوصى أتباعه بشربها ومن معجزاته تحويل الحناء إلى خمر فضلا عن رميه بالسفه والجور واشتغاله بطرد الشياطين من الأجساد وإدخالها فى الخنازير وإلقائها فى البحر وغيرذلك مما يتأتى معه القطع بحل الخمر عند النصارى أما القول بالحرمة فلا تسعفه الأدلة لأن النصوص الناهية لا تتجاوز حد الكراهة دون القطع بالحرمة . ولم يرد بأعمال الرسل ورسائلهم ورؤيا يوحنا شيئاً يتعلق بهذا الأمر، وهذه هى النصوص الدالة على ذلك .

أول معجزات المسيح :

تحويل الماء إلى خمر ليشرب الحاضرون

وهذا الحدث من المعجزات — كما يدعى النصارى — التى انفرد يوحنا بذكرها دون غيره من كتاب الأناجيل فقد ذكر : (وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ، ودعى أيضاً يسوع

(١) إنجيل متى ٥/١٧ ولو ١٦/١٧ وزوميه ٢/٣/٢١

وتلاميذه إلى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر . قال لها يسوع ما لى ولك يا امرأة لم تأت ساعتى بعد . قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه . وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة . قال لهم يسوع إملأوا الأجران ماء فملأوها إلى فوق . ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ . فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هى . لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علم ، دعا رئيس المتكأ العريس وقال له . كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن ، هذه هى بداءة الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه...)[1] .

شرب المسيح للخمر مع تلاميذه

صرحت الأناجيل بأن المسيح — عليه السلام — قد شرب الخمر مع تلاميذه وسقاهم منها بيده وذلك فى رسمه لشعيرة العشاء الربانى . وما زال النصارى يسكبون قليل الخمر على الفطير فى ليلة عيدهم بدعوى تحول الخمر إلى دم المسيح والفطير إلى الجسد وهو المعروف بعقيدة الاستحالة فى الإيمان المسيحى[2] . وإن تفاوتت الآراء فى الاستحالة بين الحقيقة والمجاز . إلا أن المتفق عليه سكب الخمر على الفطيرة . ودليل الشرب مع التلاميذ ما يلى :—

صرح متى فى إنجيله بأن المسيح كان جالساً مع تلاميذه ويتناول وجبة

(١) يوحنا ٢/١ : ١١

(٢) راجع كتاب الأمور المتيقنة عندنا للقس كارل بيل .

العشاء (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا . وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى ...)[1] .

والدليل الصريح الذى لا يتأتى رده ما نسب إلى المسيح فى إطار إنكاره على أمته كفرهم به ورد قوله (وبمن أشبه هذا الجيل يشبه أولاداً جالسين فى الأسواق ينادون إلى أصحابهم ويقولون زمرنا فلم ترقصوا نحنا لكم فلم تلطموا . لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان . جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر . محب للعشارين والخطاة والحكمة تبررت من بينها...)[2] .

وفى إطار إلزام النصارى بشرب الخمر فى العشاء الربانى ورد (إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال (خذوا كلوا) هذا هو جسدى المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكرى . كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلا هذه الكأس هى العهد الجديد ندمى اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى . فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم (هذه) الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء الرب . إذاً أى من أكل هذا الخبز وشرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما فى جسد الرب ودمه ؛ ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس)[3] .

(١) نقلا عن متى ٢٦/٢٦ : ٣٠ وراجع مرقس ١٥/٢٢ — ٢٦ ولوقا ١٤/٢٢ — ٢٠

(٢) نقلا عن متى ١١/١٦ — ١٩ وانظر لوقا ٧ : ٣٤

(٣) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس ١١/٢٣ — ٢٨

رمى يسوع بالسفه والجور

فقد ورد فى بعض الأناجيل أن المسيح خرج من أحد البيوت وكان جائعاً (فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط . فقال لها لا يكون منك ثمر بعد إلى الأبد فيبست التينة فى الحال . فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست التينة فى الحال..»[1]. مع أن مرقس قد ذكر أن الوقت لم يكن يسمح بالثمر (فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنه لم يكن وقت التين . فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد وكان تلاميذه يسمعون)[2]. (وفى الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول فتذكر بطرس وقال له ياسيدى انظر التينة التى لعنتها قد يبست...)[3] .

والعجيب أن النصارى يريدون ذلك معجزة مع أن كل عاقل يحيل ذلك على عامة الناس فضلا عن خاصتهم لأن الوقت لم يكن وقت تمر ولماذا تلعن الشجرة بدون سبب منها وكيف لم يصبر المسيح على الجوع مع أنه كان يطوى أربعين يوماً[4] ، كما يزعمون ولماذا لا يكون اليبس بسبب تفريغ كهربائى وهو ما يشاهد كثيراً فى أشجار الصحراء وأين السماحة والوداعة فى هذا المشهد ... إلخ .

---

(١) متى ٢١ / ١٨ — ٢٠ (٢) مرقس ١١ / ١١ — ١٤

(٣) مرقس ١١ / ٢٠ — ٢١ (٤) متى ٤ / ٢

وصف المسيح بما لا يقبل عقلا ولا شرعاً

ففى سبيل العفو عن خاطئة صرح لوقا بأنها قد قامت بتقبيل قدمى المسيح وسكب الدمع على قدميه ودهنتهما بالطيب فى سبيل أن يعفو عنها . ورد فى لوقا (وسأله — أى المسيح — واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسى واتكأ وإذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكىء فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحها بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، وبعد حوار بين المسيح والفريسى قال المسيح لها « من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً والذى يغفر له قليل يحب قليلا ثم قال لها مغفورة لك خطاياك ...»[1] .

إذا كان غير المسلمين ينسبون إلى القرآن الكريم — باعتباره مصدر التشريع الأول عند المسلمين — أنه انسب الى الأنبياء كبائر لا يمكن أن تقبل عقلا ولا شرعاً ثم أخذوا بعض النصوص كشواهد على دعواهم معتمدين فى تفسيرها على الإسرائيليات أو الفكر المحسوب على الإسلام والمدون فى عصور الضعف والاضمحلال الفكرى أو مفسرين للنص دون مراعاة لشروط المفسر وأدب التفسير شاطرين الآية الواحدة أو فاصلين بينها وبين سابقتها ولاحقتها لهوى فى النفس حتى كثرت الشبهات وتتابعت وأصبح المسلمون فى موطن الدفاع بدلا من الهجوم — سواء فى ميدان الفكر أو السيف .

بل إن العجز عن الدفاع — فى الميدانين — بالقدر المطلوب حقيقة

---

(١) لوقا ٧ / ٣٧ — ٤٨

لا تنكر ولذلك جالت دولة الباطل وصالت إلى أن ينهض الحق فيمحوها كما يمحو نور الصبح ظلمة الليل ، وذلك آت لا محالة (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق[1] .

وإذا كان من المتعذر على أهل الكتاب رد وقوع الكبائر من الأنبياء عمداً بحكم النص الصريح فى الكتاب المقدس : حتى سلموا بذلك مدعين أنها الطبيعة البشرية ولذلك تنوعت الكبائر بين قتل وسلب ونهب وشرب خمر وزنا و كفر... إلخ فإنه من الميسر بمكان أن يرد المسلمون دعوى أهل الكتاب ما نسبوه إلى القرآن ، بدليل النقل والعقل .

أما دليل النقل من القرآن على تنزيه الأنبياء عن ارتكاب الكبائر

فهو ما صرح به فى حق الأنبياء عامة ، وفى حق من نسبت إلى الكبائر خاصة .

فما صرح به فى حق الأنبياء قول الحق سبحانه « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين »[2] ، « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير »[3] ، « الله أعلم حيث يجعل رسالته »[4] فتأكد أن النبوة اصطفاء وليست كسباً ، ولذلك فإن الرسل قد ردوا على منكرى دعوتهم لكونهم بشر بقولهم « إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله ... »[5] ، كما أنه ختم الآيات فى قول الحق سبحانه :

« وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك

---

(١) الأنبياء : ١٨ (٢) آل عمران : ٣٣
(٣) الحج : ٧٥ (٤) الأنعام : ١٢٤
(٥) إبراهيم : ١١

حكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم[1] هو من أبلغ الأدلة على الاصطفاء ، ثم أمر نبيه بعد ذلك بقوله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)[2] فهل يعقل أن يأمره ربه بالاقتداء بكذاب أو ساحر أو كاذن أو شريب خمر أو سافك دم أو مرتد فى الوقت الذى أمرنا أيضا أن نقتدى به فى أفعاله (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)[3] .

وعندما تحدث القرآن عن لوط واسحاق ويعقوب فى سورة الأنبياء ختم الحديث بقوله (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)[4] .

ووصف أنبياء بنى إسرائيل بقوله (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)[5] .

كما أن كل نبى كان يذكر نعمة ربه عليه وما تحلى به من صفات خاصة الرسالة والأمانة فلقد صرح بذلك نوح وهود وصالح ولوط وشعيب . كما ورد فى قول الحق (إنى لكم رسول أمين[6] مضافا لكل منهم وهى تعنى عدم ترك مأمور به أو فعل منهى عنه من الأوامر والنواهى الإلهية التى يوحى بها نظريا ثم تترجم عمليا فى سلوك الموحى إليه على سبيل الابتداء

---

(١) الأنعام من ٨٣ إلى ٨٧ (٢) الأنعام آية ٩٠
(٣) الأحزاب ٢١ (٤) الأنبياء ٧٣
(٥) السجدة ٢٤
(٦) الشعراء آية ١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٧٨

وفق نص الوحى ولو وقت الكبائر من الأنبياء عمدا أو سهوا بعد العلم بالنبوة خاصـــة لانخرمت الثقة وتأتى رد الدعوة عليهم ولذلك وجدنا الأمم المدعوه تتكلف فى رد الدعوة بعلل أو هى من خيط العنكبوت دون أن تجد فى شخص الداعى ما يؤخذ به ولو قبل الدعوة . بل إنه فى مجادلة الأعداء للمرسلين كان الحق يخرج من فيهم ما يشهد للأنبياء لا عليهم فلقد قال قوم صالح له (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ..)(١) .

ولقد صرح صالح عليه السلام بأنه ملتزم بكل مايأمرهم به مجتنب كل ما ينهاهم عنه لا سبيل منه إلى المخالفة (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير)(٢) وقوم شعيب قالوا له : (أصلوتك تأمر أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد)(٣) فرد عليهم شعيب بعدم مخالفة فعله لقوله (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .

وعندما بعث موسى إلى فرعون لم يجد ما يقدحه به فى سلوكه إلا قوله (قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين)(٤) كما أن المشركين لو وجدوا ما يعيرون به محمـــدا ﷺ سوى الفقر أو فقدان الولد الذكر ما ترددوا لحظة ولقد استنطقهم فنطقوا بصدقه (لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الجبل تريد أن

(١) هود ٦٢ (٢) هود ٦٣ (٣) هود ٨٧،٨٨
(٤) الاصطفا فى سيرة المصطفى ٢٧/ نور العقيدة ٦٦ صدائق الأنوار ٢/٦٣٤

تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قط...) وقولة أبى سفيان فى ميدان هو أحوج ما يكون فيه إلى الكذب ، ولكن الخلق منعه من ذلك ، فحين سأله هرقل عن أمر محمد هل جربتم عليه كذبا قط ؟ قال : لا ، لذلك فإن هرقل قد استنتج صدق محمد قائلا : وسألتك هل يكذب قلت لا فما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله(١) بلى إن الرسول — ﷺ — حين قطع نخل بنى النضير خاطبوه بقولهم : لقد كنت تنهى عن الفساد فى الأرض وأن تقطع النخل . فنزل قول الحق (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين)(٢) فصرح الله بأنه ضـــرورة حربية وبتصريح إلهى كما أعلنها صراحة بقوله (قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم)(٣) فإذا ما تأملنا الآيات التى يوهم ظاهرها المعصية من الأنبياء اتضح الآتى :

أولا : آدم عليه السلام :

قال تعالى فى حق آدم (فوسوس إليه الشيطان وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)(٢) وقد بينت الآيات الأخرى أن المعصية هى نتاج النسيان مع عدم العزم على المعصية قال تعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما)(٤) ومع أن المعصية كانت قبل النبـــوة وليست من الكبائر ونتاج النسيان والناس معفوا عنه شرعا إلا أن الحق قد صرح بتوبة آدم (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)(٥)

(١) ابن كثير ٤/٢٣٣٣ الدر المنثور ٦/١٩١ .
(٢) الأنعام ١٥ وقبلها يونس ١٥ والزمر ١٣
(٣) سورة طه ١٢١،١٢٢ (٤) طه ١١٥ (٥) البقرة ٣٧

وهذه الكلمات هى ما وردت فى قول الحق (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)[١] وليست العلاقة بين الله وآدم قائمة على الصراع والخوف والحزن والأسف من قبل الله تجاه آدم بل هى علاقة تكريم من رب رؤف رحيم لعبد مكرم مصطفى أعطى من الفضل ما لم تعط الملائكة .

ثانيا : نوح عليه السلام :

لم يرد فى القرآن أنه شرب الخمر وما كان ليرد لتنزه الأنبياء عن ذلك . وغاية ما نسب إليه هو أخذه بالظاهر كما هو الشأن فى أهل الشرع فحينما خاطبه ربه بقوله (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم)[٢] فظن أن ابنه من الناجين (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين)[٣] فبين الحق له أن ابنه ليس من أهله ذاكرا علة الحكم (قيل يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إنى أعوذ بك أن أسالك ما ليس لى به علم وإلا تغفرلى وترحمنى أكن من الخاسرين)[٤] .

والذى أراه من النص أن ابن نوح قد تبع والده فى الرسالة تبعية ظاهرة من غير طمأنينة قلب . فأخذ نوح عليه السلام بالظاهر . والحق سبحانه فى فصل القضاء لا ينجى إلا من جمع بين طمأنينة الباطن وانقياد الظاهر والاعتقاد بالقلب فقط لا ينجى وانقياد الظاهر فقط كذلك كما هو الحكم الظاهر على المنافقين (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا)[٥] مع أنهم فى الظاهر مسلمون يعاملون معاملة المسلمين

(١) الأعراف ٢٣ (٢) هود ٤٠ (٣) هود ٤٥
(٤) هود ٤٧ (٥) النساء ١٤٥

بل قول الحق (فلا تسألنى ما ليس لك به علم) ليؤكد هذا . ومن المحتمل أن يكون نوح عليه السلام قد أخذ بظاهر اللفظ وهو النسب الدنيوى فبين الحق له أنه لا اعتداد بهذا النسب فى الآخرة ما لم يقرن بالطاعة كما هو الحال فى حق إبراهيم مع والده ومحمد مع عمه[١] .

ثالثاً : إبراهيم عليه السلام

لم يحظ نبى من الأنبياء بالثناء الخاص مثل ما حظى إبراهيم — عليه السلام — قال تعالى فى حقه (إن إبراهيم لحليم أواه منيب)[٢] . (إنه كان صديقاً نبيا)[٣] . (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين)[٤] أوتى الرشد منذ الصبا .

(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا عالمين)[٥] وأنه قد وفى بما كلف به (وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين)[٦] أمر محمد عليه السلام باتباعه (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)[٧] .

وما أخذه غير المسلمين على أسلوب القرآن فى حديثه عن إبراهيم فهو نتاج الجهل بلغة العرب التى هى لغة القرآن أو للاعتماد على ضعيف الرواية أو مكذوبها . ومما ادعى أنه كبير فى حق إبراهيم ما يلى :

(١) التوبة ١١٣ ، ١١٤ والممتحنة ٤
(٢) هود ٧٥ (٣) مريم ٤١
(٤) النحل الآيات ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢
(٥) الأنبياء ٥١ (٦) البقرة ١٢٤ (٧) النحل ١٢٣

١ — قول إبراهيم عليه السلام (هذا ربى) ثلاث مرات بعد رؤيه الكوكب ثم القمر ثم الشمس ، وهذا دليل الشرك[١] ، وهذه الدعوى مردودة لأن الأسلوب كان على سبيل الاستفهام الانكارى أو هو من باب التدرج مع الخصم بغرض الإلزام كما أن بدء الآيات فى القصة وختمها يبطل ما ادعاه هؤلاء ، ففى البدء قال الحق سبحانه (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين)[٢]، وفى الختم ورد (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم)[٣] ، فكل ماسبق من حوار كان حجة من قبل الله آتاها إبراهيم ليلزم قومه الحجة ، فأين الشرك هنا ؟

٢ — قول الحق عنه (فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم)[٤] ، وغاية ماذكره معظم المفسرين لايعتد به لأنه يجعل إبراهيم عليه السلام كاذبا ، والأصل أن يبقى النص على ظاهره مالم يصرفه الصارف، فالسقم هذا حقيقى ولكنه نفسى ، فمن البدهى أن يضيق داعى بالتوحيد إذا رأى الآلهة المزعومة من دون الله ، ولذلك عبر عما أصابه بقوله إنى سقيم .

٣ — قول الحق على لسان إبراهيم بعد أن سئل عن من حطم الأصنام (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)[٥] ولم يكن إبراهيم كاذبا بل مستهزئا بهؤلاء الذين عبدوا من دون الله، فعبر عابديها بعجزها

(١) الهداية ص ١٨ — ٢١
(٢) الأنعام ٧٥ (٣) الأنعام ٨٣
(٤) الصافات ٨٨ ، ٨٩ (٥) الأنبياء ٦٣

وضعفها وعدم قدرتها على السمع والبصر والكلام وهو من أساليب التهكم فى لغة العرب .

٤ — ماينسب إلى إبراهيم أنه قال فى حق سارة ، أنها أخته كما ورد فى السنة[١] ، وقد أورد الفخر الرازى الحديث قائلا لأن ينسب الكذب إلى الرواة خير من أن ينسب إلى ابراهيم الذى وصفه ربه بأنه (صديقا) كما رد قول من قال إنه كذب من أجل المصلحة الدينية وهو جائز لأن الكذب لمصلحة دنيوية جائز (كالصلح بين المتخاصمين ، والزوجين وفى الحرب) فهو للدين أشد جوازا بقوله لايؤمن مع هذا أن يكون كل ماقالوه كذبا للمصلحة الدينية [٢].

فإذا ماسلمنا بقبول النص كان السياق تورية أى من حيث الإنسانية أو الدين او قيل إن ذلك مما يظنه الناس كذبا وليس من الكذب[٣].

رابعا — لوط عليه السلام

صرح القرآن بنبوته ورسالته ووصفه بالأمانة ولم يشر إلى مانسب اليه فى التوراة ، وبين القرآن أن دعوة لوط عليه السلام ركزت على معالجة الفساد الخلقى المتفشى فى المجتمع حيث ساءت الفاحشة وفى غير محلها فكان القبح من وجهين ولذلك بين لهم جرم صنيعهم وماوجدنا هم يردون عليه بما وقع منه ولو وقع ذلك ولو على سبيل السهو والغفلة والنسيان لعيروه به ولذكره القرآن[٤].

(١) صحيح البخارى حـ ٢ ص ١٥٣
(٢) مفاتيح الغيب ١٢٩/٦
(٣) عصمة الأنبياء د/ أبو النور الحديدى ٢٨٤ — ٢٩٤
(٤) راجع قصة لوط فى سورة هود ٧٧ — ٨٣ والنمل ٥٤ — ٥٨ والشعراء ١٦٠ — ١٧٥ والعنكبوت ٣٥/٢٦ والنجم ٥٣ ، ٥٤ والقمر ٣٣ — ٤٠

خامسا — إسحاق ويعقوب عليهما السلام

صرح القرآن باصطفائهما للنبوة والرسالة وأثنى عليهما فى معرض المنة على إبراهيم ، قال تعالى (ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ، الأنعام ٨٤ (ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا صالحين) الأنبياء ٧٢ (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) الصافات ١١٢ ، ١١٣

وفى الثناء على النسب المبارك ورد (واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار ، إن أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار)[1].

سادسا — يوسف عليه السلام

صرح القرآن بأن المرأة قد راودت يوسف عن نفسه وهمت به نزوعا اليه وهم بها ردعا وزجرا بحكم أن هم كل فرد من جنس مايميل اليه ، فميلها إلى الغريزة جعلها تهم اليها وميله إلى الطاعه جعل همة مرتبط بها ولو أدى ذلك إلى ضربها من باب استعمال القوة فى تغيير المنكر، والدلائل السابقة على الحدث واللاحقة له تؤكد أنه لاحظ ليوسف من الغواية ، بل إنه مع التسليم بأن الهم كان غريزيا ثم منع من الفعل لهو من أبلغ الأدلة على عصمة الله للأنبياء ، ونصوص القرآن تدل على براءة يوسف من هم المعصية كما يلى :

١ — أن القرآن وصفه بقول الحق (ولما بلغ أشده أتيناه حكما وعلما وذلك قبل الحدث .

٢ — إعلانه رفض المعصية صراحة قائلا (معاذ الله) مبينا علة الرفض باظهار فضل ربه عليه أو بعدم خيانته لمن تربى فى بيته (إنه ربى أحسن مثواى)

(١) سورة ص ٤٣ — ٤٥

٣ — تصريحه بأن الفاحشة ظلم ولا فلاح مع الظلم (إنه لا يفلح الظالمون)

٤ — وصف الله له بالإخلاص سواء القراءة باسم الفاعل أو المفعول (إنه من عبادنا المخلصين) وكلاهما يدل على نفى خط الشيطان (فبعزتك لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين)[1] وقول الحق له (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان)[2].

٥ — إعلانه براءة نفسه صراحة مما نسب اليه (قال هى راودتنى عن نفسى)

٦ — شهادة ذى القرابة القريبة له بعد ذلك (فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم).

٧ — أمره يوسف أن يكف عن ذكر الخير من باب الستر وأمره إياها بالاستغفار (يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين).

٨ — إعلان المرأة أمام النسوة رفض يوسف المعصية (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم).

٩ — إيثارة السجن على المعصية حين قالت المرأة ثانية (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى اليه ، ثم طلب القوة والتأييد من ربه على الغواية (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن)

١٠ — توافر الأدلة على براءة يوسف أمام الحاكم (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين).

١١ — رفضه الخروج من السجن حتى تظهر براءته علانية قائلا للبشير (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم) وشهادة النسوة له بالبراءة (قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء)

(١) سورة ص ٨٢ (٢) الحجر ٤٢

١٢ — تصريح المرأة ببراءة يوسف بعد يقظة ضميرها قائلة) الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) .

١٣ — الضمائر فى الآية الكريمة (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) إما أن تعود على الحق سبحانه أوعلى يوسف وفى الأولى يكون تصريحا من يوسف بنفى الخيانة لزوجها وفى الثانية يكون تصريحا من المرأة ببراءة يوسف وعدم خيانتها له فى تحميله ما لا يحتمل ونسبة ما لا يجوز نسبته إليه[1] .

سابعاً : موسى عليه السلام :

صرح القرآن بأنه كان محل عناية ورعاية الحق منذ ولادته ، قال تعالى (وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى)[2] وخاطبه بقوله (إنى اصطفيتك على الناس برسالتى وبكلامى .)[3] وأعلن يوسف معية الله معه (قال كلا إن معى ربى سيهدين)[4] ومما اختص به تكليم الله (وكلم الله موسى تكليما)[5] وأمره بأن يكون قدوة لقومه (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة . .)[6] ويدعى أهل الكتاب أن القرآن قد وصفه بقتل نفس بغير حق ، وأمر الخصم بفعل السحر وهما من الكبائر[7].

والفرق بين تصريح التوراة وتصريح القرآن أن القتل فى التوراة عمدا وأن موسى طمر المقتول فى الرمل ، وفى القرآن أراد موسى نصرة الضعيف

---

(١) اقرأ الآيات من رقم ٢٢ إلى رقم ٥٣ من سورة يوسف .
(٢) طه ٣٩ (٣) الإعراف ١٤٤
(٤) الشعراء ٦١ (٥) النساء ١٦٤
(٦) يونس ٧٨ (٧) الهداية ٤٢/٤٠

فدرأ القوى بيده فصادفت نهاية المدروء ولذلك قدم موسى وطلب من ربه المغفرة (قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم)[1] وعندما عير فرعون موسى بفعلته تلك قائلا له (وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين)[2] قال له موسى (قال فعلتها إذن وأنا من الضالين)[3] .

أما أمره لمتحديه بإظهار السحر فلأنه فى مقام إثبات النبوة والرسالة ولا يتأتى الإثبات إلا بالمعجزة ولا معجزة إلا بفعل لا سبيل إليه من جنس ما يملك القوم ، ولذلك انتهى الأمر باقرار السحرة لموسى بالنبوة ولمرسله بالربوبيه (فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون[4] .

ثامنا : هارون عليه السلام :

صرح القرآن أن السامرى هو الذى صنع العجل لبنى إسرائيل فى غيبة موسى ، وأن موسى سأله (قال فما خطبك ياسامرى ، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى)[5] وأعلن هارون رفض ذلك (ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن)[6] وبعد عودة موسى من المناجاة ووجد بنى إسرائيل قد اتخذوا عجلا من دون الله حزن وأخذ هارون تحت إبطه كما يأخذ الوالد ولده ثم شد عليه فى العتاب قائلا له (يا هارون

---

(١) القصص ١٦ (٢) الشعراء ١٩
(٣) الشعراء ٢٠ (٤) الشعراء ٤٥ — ٤٨
(٥) طه ٩٥
(٦) طه ٩٠

ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ، ألا تتبعنى أفعصيت أمرى ، قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى)[1] ولم يذكر القرآن أنه الذى صنع العجل أو عبده أو بنى بيتا له أو جعل عيدا للرب أمامه كما ذكرت التوراة .

تاسعا : داود عليه السلام :

نقل أهل الكتاب ما ذكره المفسرون عن أهل الكتاب على أنه الإسلام فى تفسير الآية الكريمة (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة) وأنها تعريض بداود ، وأحيانا ينقلون القصة دون الرد عليها لهوى فى النفس ، ومن يقف على الآيات الكريمة آخذا بظاهرها يجد ، أن القول صادق صحيح لا يدل على شىء مما قاله المستهزءون الكاذبون .. وإنما كان ذلك الخصم قوما من بنى آدم بلا شك مختصمين فى نعاج من الغنم على الحقيقة بغى أحدهم على الآخر .

ومن قال إنهم ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد فى القرآن ما ليس فيه وكذب على الله عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة ... ثم كل ذلك بلا دليل بل الدعوى المجردة وتالله أن كل امرىء منا ليصون نفسه وجاره عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها)[2] .

ويقول القاضى عبد الجبار (والقصة مختلفة للحشوية إذ لا يليق إدخال الذم الشنيع فى أثناء المدائح العظام بل تسور قوم قصره للايقاع به

(١) طه ٩٤

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٥/٤٤ بتصرف .

فلما رأوه مستيقظا اخترع أحدهم الخصومة ونسبة الكذب إلى اللصوص أولى من نسبته إلى الملائكة)[1] .

عاشرا : سليمان عليه السلام :

لم يذكر القرآن أنه ارتد فى أخريات حياته كما ذكرت التوراة ، بل أثنى عليه القرآن فى قوله (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب)[2] ونفى عنه الكفر (. . وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ..)[3] ومنزلته عند الله كبيرة فى الآخرة (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)[4] فهل يعقل أن تقع كبيرة ممن نال هذا الثناء الإلهى .

وقد ركز أهل الكتاب على أقوال المفسرين لقول الحق (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ، فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ، ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق)[5] فى كون سليمان تشاغل بالخيل حتى فاتته الصلاة فأمر برد الخيل عليه ثم ذبحها ، وكذلك ما نسب إليه من تسلط الشيطان على أقواله وأفعاله[6] .

والصواب أن ظاهر القصة لا يدل على ضياع صلاة ، بل إن سليمان ذكر نعمة ربه عليه فى تمكينه من هذا الجم من الخيل و « عن » فى الآية بمعنى « الباء » أى أحببت حب الخير لسبب ذكر ربى ، ومن هذا الخير نعمة الخيل التى كان يرتب على أعناقها وسوقها — أما أنه ذبح الخيل فلا أساس له ولا تسعفه الأدلة (والظاهر أنها من اختراع زنديق بلاشك

(١) المواقف ٣٥٣

(٢) سورة ص آية ٣

(٣) البقرة ١٠٢

(٤) سورة ص ٤٠

(٥) سورة ص ٣٤

(٦) الهداية ٤٢ — ٤٥

لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها وإتلاف مال ينتفع به بلا معنى ونسبة تضييع الصلاة إلى بنى إسرائيل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا ذنبها وهو أمر لا يستجيزه صبى فكيف بنبي مرسل)[1] .

وأما فتن سليمان فهو ابتلاؤه بمرض غير منفر حتى صار لا يستطيع الحركة وفى الحديث (يبتلى الرجل على حسب دينه)[2] وورد (نحن معاشر الأنبياء يشتد بنا البلاء ويضاعف لنا الأجر)[3] ثم رفع الله عنه ما أصابه ومكن له بعد ذلك .

حادى عشر : أيوب عليه السلام

صرح القرآن بنبوته ورسالته (النساء ١٨٣ والأنعام ٨٤) ولم يذكر أن الشيطان قد تسلط عليه من قبل الله ليظهر سوء طبعه كما صرحت التوراة حتى لعن يوم ميلاده وعاب ربه على حكمه ووصفه بالظلم صراحة . بل إن القرآن قد أثنى عليه فى معرض ثنائه على الأنبياء فى سورة الأنعام . وقد ابتلاه الله فى جسده فتوجه إلى ربه قائلا (... مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين)[4] فأستجاب الله (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين)[5] .

وأما ما ورد فى قول الحق سبحانه (واذكر عبدنا أيوب إذنادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب)[6] فإن معظم المفسرين قد تأثروا بما هو

(١) الفصل ٥/٤٥
(٢) الترمذى ك الزهد ٥٧ ، ابن ماجه متن ٢٣
(٣) البخارى ك المرضى ٢ حم ٣/٩٤
(٤) الأنبياء ٨٣
(٥) الأنبياء ٨٤
(٦) سورة ص ٤١

مذكور فى التوراة فمنهم من نسب إليها مباشرة ومنهم من ذكر ولم ينسب ومنهم من قال ذكر رجل من بنى إسرائيل ، وذهبت طائفة إلى أن الكلام كناية فلا وجود للشيطان ألبته مع ذكر أدلتها ورغم تعدد الآراء إلا أن الزمخشرى قد وفق حين قال (لا يجوز أن يسلط الله تعالى الشيطان على أنبيائه ليقضى من إتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر فى القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب وجعل إسناد المس إليه هنا مجازا ...)[1] .

كما ذكر فخر الدين الرازى دلائل عدم قدرة الشيطان على الإنسان[2] والذى أراه أن أيوب قد ابتلى فى جسده فضاقت نفسه بهذا الابتلاء فعبر عن الضيق بأنه من مس الشيطان لأن شأن الأنبياء الرضى بكافة الأحوال بل شأن الأتقياء والعارفين فكيف بالمرسلين فعبر عن ذلك (بمس الشيطان) أو أنه من باب قوله تعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا)[3] أو قوله (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله)[4] وهو لا يعنى المعصية فضلا عن الكبيرة والله أعلم .

ثانى عشر : يونس عليه السلام

صرحت التوراة بأن الرب قد ندم على ما فكر به تجاه قومه وأنه عفا عنهم وأن يونس أنكر على ربه المغفرة لقومه ولذلك ترك المدينة وخرج ... الخ[5] .

(١) الكشاف ٣/٣٧٩
(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/٢١٣
(٣) الأعراف ٢٠١
(٤) الأعراف ٢٠٠
(٥) يونان صح ٤،٣

أما القرآن الكريم فلم يذكر ما يعاب به يونس إلا ما نقله أهل الكتاب عن المفسرين فى تناولهم لقول الحق (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين)[1] مدعين جهالة يونس لحق الله حيث التعبير بعدم القدر عليه ناسين أن القدر هنا بمعنى التضييق كما ورد فى كثير من آى القرآن . وماعتاب الله له إلا لعدم صبره على أذى قومه وتركه إياهم على عجل متعجلا تزول العذاب . ولم يعتب على ربه شيئا من فعله بل وصفه ربه بقوله (فلولا أنه كان من المسبحين)[2] وقول الحق (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم. فاجتباه ربه فجعله من الصالحين)[3]

والحقيقة أن المغاضبة كانت لله لا من الله وأن القدر بمعنى التضييق حيث خرج من قريته يقصد قرية أخرى فابتلى بركوب البحر ثم ألقى فيه بعد الاقتراع فالتقمه الحوت ، أما وصفه نفسه بالظلم فهو من باب الأخذ بظاهر اللغة وهو وضع الشيء فى غير موضعه . والأصل أن يبقى يونس مع قومه فخروجه منهم فاراً بدعوته مع أن الأصل البقاء حتى يؤذن له بالهجرة هو وضع للشيء فى غير موضعه ، أو أنه تجاوز الحد فى عدم الصبر والثبات على محاجة القوم ولذلك فإنه يلوم نفسه وهو فى بطن الحوت ويكفى أن الحق قد وصفه بقوله (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين)[4] ولاصلاح مع الكبيرة وما وقع منه لا يعدوا أن يكون خطأ فى الاجتهاد حين إرادة البلاغ

---

(١) الأنبياء ٧٨ (٢) الصافات ١٤٣
(٣) سورة القلم ٤٩، ٥٠ (٤) القلم ٥٠

ثالث عشر : شاول — نحميا — آرميا

هؤلاء ممن أمسك القرآن عن ذكرهم إن كانوا أنبياء أو ممن أضافهم بنو إسرائيل إلى الكتاب المقدس على أنهم أنبياء وليسوا بأنبياء وكل اسم لم يرد له ذكر فى القرآن التفويض فيه اسلم . مع الايمان بأنه يجب لكل نبى — لم يذكر القرآن اسمه — من الصفات مثل ماوجب لمن ورد ذكره باعتبارهم قدوة للمدعوين فلا تتأتى منهم الكبائر .

رابع عشر : عيسى عليه السلام

إن يكن للمسيح فضل يتيه به فى الدنيا والآخرة فهو ما تحدث به القرآن فى حق المسيح[1] . فلم ينسب إليه كبيرة ولم يحمله صغيرة ولم يقبل نسبته إلى الزنا كما ادعى اليهود ولم يصلب مهانا حقيرا ذليلا كما ادعى النصارى[2] بل نفى عنه الصلب بالكلية[3] .

ورد على النصارى دعواهم عبادة المسيح وأمه حيث يعلنها صريحة فى الدنيا — القرآن — وفى الآخرة المسيح[4] . وأنزله منزلته فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم[6] تنزه فى قوله وفعله عن السفه والشطط وارتكاب الكبائر أو أمره أتباعه بذلك كما ورد فى العهد الجديد[7] .

---

(١) آل عمران من ٤٢ — ٥٠ والنساء من ١٥٦/١٦٢ ، ١٧٠/١٧٣ والمائدة من ١٠٩ — ١١٨ — مريم من ١٦ — ٣٦ والزخرف من ٥٧ — ٦٥
(٢) النساء ١٥٦ (٣) متى ٢٧/٣٤/٤٩
(٤) النساء آية ١٥٧ (٥) المائدة آية ١١٥
(٦) النساء آية ٧١-٢٧ (٧) متى ٢٦/٢٦/٣٥

الخاتمة وقد اكتفيت بأسماء هؤلاء الأنبياء لأن ذكرهم .

قد ورد فى الكتاب المقدس مقرونا بفعل الكبائر أو بالاقرار على الفعل أو بالعلم دون الإنكار . أما ما ورد ذكره فى القرآن صريحا وليس له ذكر فى الكتاب المقدس فلم أذكر وماورد بالكتاب المقدس وليس له ذكر فى القرآن فالأصل فيه التوقف . فإن كان الكتاب المقدس قد نسب إليه كبيرة ذكرتها من باب المجاراة بغرض الإلزام مع عدم الإيمان بأى كبيرة نسبت إلى نبى فى الكتاب المقدس وللعاقل أن يسأل نفسه أى الكتابين سلم من التحريف وأى النصوص هى الصواب والله الهادى إلى سواء السبيل .

أهم المراجع

١ — القرآن الكريم

٢ — الكتاب المقدس

٣ — كتب تفسير القرآن

٤ — الصحيحان والسنن

٥ — إظهار الحق لرحمة الله الهندى

٦ — الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة للقرافى

٧ — عصمة الأنبياء للرازى

٨ — عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم د/ أبو النور الحديدى

٩ — الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم

١٠ — المواقف فى علم الكلام لعضد الدين الايجى

١١ — المغنى فى أبواب التوحيد والعدل حـ١٥ للقاضى عبد الجبار

١٢ — النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية